الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت–

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: علوم إنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

الموسومة بـ:

الرحلات الحجازية لعلماء المغرب الأقصى والجزائر خلال القرنين (11هـ–12هـ/17م–18م) رحلة العياشي والورتيلاني أنموذجا

إعداد الطالبتين:

- سديري سميحة
- سعدات نور الهدى

إشراف الأستاذ:

بكاري عبد القادر

لجنة المناقشة	
د– بن صحراوي كمال.....	رئيسا
د– لزغم فوزية.....	مناقشة
أ–بكاري عبد القادر.....	مشرفا

السنة الجامعية:

1436– 1437هـ / 2015– 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله على نعمه التي لا تحصى، والشكر له على منه بأن يسير لنا سبل هذه الدراسة فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحمد حتى يرضى وله الحمد والشكر بعد الرضى.

وإذا كان شكر المتفضل المنعم واجبا، فشكر الناس من شكر الله، لذا فإننا نعيد الفضل إلى أهله، فنتقدم بالشكر الجزيل والخالص إلى الأستاذ عبد القادر بكاري لقبوله الإشراف على هذه المذكرة، وعلى تقديمه الإعانة والمساعدة والتوجيهات القيمة والنصائح الرشيدة التي كانت من الحوافز المشجعة لإتمام هذه المذكرة.

ولا ننسى أن نشكر كل من أمد لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد أو أسدى لنا النصيحة أو أعطانا كتاب ونخص بالذكر الأستاذة الفاضلة فوزية لزغم التي فتحت لنا آفاقا أفادتنا في هذا البحث ولا شك أنها تفيدنا مستقبلا فجزاها الله خيرا، كما يشرفنا أن نشكر أيضا الأستاذ شارف أحمد من ولاية الجلفة بجامعة زيان عاشور الذي لو يبخل علينا بتقديم يد المساعدة.

إلى كل هؤلاء نتقدم بجزيل الشكر وفائق الإحترام والتقدير.

الإهداء

إلى من يكد ويتعب ليدر لنا حياة كريمة وسعيدة

إلى الذي يوصينا بالإيمان والتقوى والعمل الصالح وبفضله واصلنا سيرة العلم والمعرفة إليك أبي

إلى من أفنت حياتها، وغمرتنا بحبها وحنانها الى من تسهر لسهرنا وتفرح لفرحنا إلى من سكنت جوفها تسعا وحجرها حولين الى أسمى شيء في الوجود، وأنبل مخلوق على وجه الأرض أمي

إلى أخواتي نصيرة، سعيدة، سميرة والى كافة الأهل والاحباب والأقارب خاصة عمتي كريمة

إلى الأخت التي لم تلدها أمي وزميلتي في هذا العمل نور الهدى وإلى كل حبيباتي وصديقاتي ليندة، هاجر، حنان، حكيمة. أهدي هذا العمل.

سميحة

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من رسم لي معالم النجاح

وعبد لي طريق الفلاح، إلى معلمي ومرشدي منير دربي

إليك يا من أفنيت عمرك إنشغالا لتربيتي وتعليمي "أبي" أغلى ما عندي في الوجود حفظه الله وأطال عمره.

إلى أسمى ما في حياتي إلى مثال الحب والحنان إلى قدوتي في هذه الدنيا

إلى أحلى هبة من الرحمن إلى "أمي" الغالية حفظها الله وأطال عمرها.

إلى إخوتي: أحلام وزوجها وإبنها نجيب، وعبد الباسط، أحمد، هاجر، أبوا القاسم سعيد، إلى أختي المدللة إشراق وإلى كل الأهل والأقارب

إلى الأخت التي لم تلدها أمي وزميلتي في هذا العمل سميحة

إلى الأصدقاء الذي جعلهم الله أخواتي في الله: خيرة، هاجر، أمينة، زهيرة، حنان، ليندة، شيماء، سميرة.

إلى كل من ساهم في هذا البحث من قريب أو بعيد ولو بالكلمة الطيبة أهدي هذا العمل المتواضع.

نور الهدى

جدول المختصرات :

1- بالعربية	
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
مج	مجلد
تع	تعليق
تق	تقديم
ج	جزء
د ط	دون طبعة
د ت	دون تاريخ
مر	مراجعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
ص	صفحة
ص ص	صفحات متلاحقة
ص-ص	صفحات متباعدة
ق	قرن
2- بالفرنسية	
Page	P
Volume	V
Revue Africaine	R.A

مقدمة

تعتبر الفترة الحديثة في تاريخ منطقة شمال إفريقيا من الفترات المهمة للبحث والدراسة نظرا لغناها بالأحداث الهامة و المواضيع الشيقة، و من بين المواضيع الشيقة، و من بين المواضيع التي تستدعي من الباحثين تسليط الضوء عليها و فهمها موضوع الرحلات الحجازية.

شكلت الرحلة عمرها بالنسبة لمسلمي الغرب الاسلامي، منذ فجر الدعوة الإسلامية و إشراق شمسها عن ربوع هذا الجانب من العالم العربي الإسلامي، هاجسا دائم الحضور و مطلبنا قوي الإلحاح، و رغبة دفينة في النفوس سرعان ما تعبر عن ذاتها مشتدة إلى الواجب الديني، ممثلا في الركن الخامس من أركان الدين الإسلامي الحنيف، و متكئة على تقاليد راسخة في شد الرحال نحو الآفاق بحثا عما تجود به من زاد ديني أو دنيوي.

فقد عرفت كل من المغرب الأقصى و الجزائر رحلة العديد من العلماء إلى بلاد الحجاز، حيث أتاحت لهم هذه الأخيرة تدوين خواطرهم إبان رحلاتهم، للحج و الزيارة، لمحبتهم لهذه الأماكن المقدسة.

وفي هذا السياق، يندرج موضوع دراستنا الموسومة ب: الرحلات الحجازية لعلماء المغرب الأقصى و الجزائر خلال القرنين (11-12هـ/17-18م) رحلة العياشي والورتيلاني، أنموذجا.

فقد تركت الفترة الحديثة سواء في المغرب الأقصى أو الجزائر عدة رحلات حجازية كتبها أصحابها بعد آدائهم لفريضة الحج، بغرض إعطاء صورة عن الأقطار العربية التي مرو بها و هم في دربهم إلى بلاد الحجاز، و يأخذ هذا الموضوع قيمة و أهمية من جوانب مختلفة منها بعده الحضاري و المذهبي و السياسي، و الإقتصادي، و الإجتماعي و سنحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة على حضور هاته الأقطار العربية في الكتابات المغربية و الجزائرية، من خلال رحلتي العياشي والورتيلاني و هذا انطلاقا من الإشكالية المراد معالجتها في هذا الصدد:

ما مدى مساهمة الرحلات الحجازية في إثراء المورث التاريخي كونها مصدر من مصادر التاريخ المهمة؟

وتنبثق عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية و هي كالتالي:

- كيف كان يتم تعيين أمراء الركب؟
- ما هي أبرز البيوتات التي تولت إمارة ركب الحج؟
- ما هي أهم المشاكل التي اعترضت حجاج بين الله الحرام؟
- كيف جسد لنا كل من الرحالة العياشي و الورتيلاني الأوضاع التي كانت سائدة في البلدان العربية التي مرو بها عامة و بلاد الحجاز خاصة؟

كان اختيارنا لهذا الموضوع وراءه مجموعة من العوامل الذاتية و الموضوعية، أما بخصوص الجانب الأول فيأتي في مقدمتها تعلقنا بالفترة الحديثة و هي الفترة المفضلة لدينا للبحث والدراسة، وكذلك الرغبة في البحث في تاريخ الحج و هو تحقيق لرغبتنا الدفينة و هي زيارتنا لهذه الأرض الطيبة الحجاز، و أداء الفريضة، فيكون الحج و الزيارة عن بعد قبل المباشرة إنشاء الله، أما الجانب الثاني و هو الرغبة في إثراء الفترة الحديثة و لو بالقليل من خلال تطرقنا لهذا الموضوع الذي كان اقتراحه من قبل الأستاذ المشرف، بالإضافة إلى قلة المواضيع المطروحة في كتابات الرحالة كشكل من أشكال الكتابة التاريخية.

و فيما يتعلق بالإطار الزماني و المكاني لهذه الدراسة حددنا القرنين (17-18م)، لتزامنهم مع رحلة كل من أو سالم العياشي، و الحسين الورتيلاني. أما الاطار المكاني فقد حددناه بدولتين شقيقتين المغرب الأقصى و الجزائر، و ذلك بفرض التنبيه إلا أن هذه الرحلات الحجازية عرفتها كل من المغرب الأقصى، و الجزائر على حد سواء فوقع اختيارنا على أشهرها.

إن دراسة الرحلات الحجازية لعلماء المغرب الأقصى، الجزائر خلال الفترة الحديثة، من المواضيع التي تتطلب دراسة معمقة، إلا أنها لم تحظى بقسط وافر من الدراسة، وهذا لا يتفق وجود بعض الدراسات التي تطرقت إلى موضوع الرحلات، ومن بين الدراسات التي سبقتنا في هذا الموضوع نجد : كتاب الرحلات المغربية لمحمد ماكامان، وكتاب رحلة الورتيلاني في عرض و دراسة لمختار بن الطاهر

الفيلالي، و كتاب عبد الرحمن عزي، التواصل القيمي الرحلة الورتلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار.

والإجابة عن هذه الإشكالية المطروحة سابقا قمنا بإنجاز خطة مكونة من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول، وخاتمة وذينا البحث بمجموعة من الملاحق، بالإضافة إلى القائمة الببليوغرافية وفهرس للموضوعات.

تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع والإشكالية المراد معالجتها ودواعي إختيار الموضوع، وما إلى ذلك من العناصر التي يستوجب إدراجها وتوضيحها في المقدمة .

وتطرقنا في المدخل الى الرحلة وأغراضها، وقد حاولنا فيه إعطاء فكرة موجزة عن الرحلة في جوانبها المختلفة، حتى نثبت للقارئ ونعطي له صورة عامة عن الرحلة.

أما الفصل الأول فقد جاء تحت عنوان: إمارة ركب الحج اندرج تحته مبحثين: المبحث الأول ركب الحج المغربي والجزائري تناولنا فيه الطريقة التي بها تنظيم ركب الحج، والشروط التي ينبغي أن تتوفر في الأمير مصحوبة بجملة من المهام، أما المبحث الثاني فورد بعنوان متطلبات الحج ومشاكله تناولنا فيه وسائل نقل الحجاج، المشاكل التي كانت تعترض في سبيلهم.

حيث خصصنا الفصل الثاني لـ: العياشي وكتابه ماء الموائد يندرج تحته ثلاث مباحث، المبحث الأول بعنوان حياة أبي سالم العياشي أما المبحث الثاني: أحوال الأقطار العربية من خلال رحلة العياشي، تناولنا فيه كل ما يتعلق بالملامح الجغرافية، والأحوال السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية للبلدان التي زارها الرحالة والمتمثلة في الجزائر، تونس، طرابلس، مصر، والمبحث الثالث تطرقنا فيه لبلاد الحجاز من خلال رحلة العياشي تضمنت أهم المعالم الجغرافية لبلاد الحجاز، إضافة إلى الأحوال السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية السائدة آنذاك.

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان: الورتيلاني وكتابه نزهة الأنظار بفضل علماء التاريخ والأخبار يندرج تحته ثلاث مباحث، المبحث الأول: حياة الحسين الورتيلاني، كما تطرقنا في المبحث الثاني: لأحوال الأقطار العربية من خلال رحلة الورتيلانية، تناولنا فيه كل ما خصصه الورتيلاني من معلومات عن البلدان التي زارها انطلاقا من بلاده إلى غاية مصر، أما المبحث الثالث فورد بعنوان: بلاد الحجاز من خلال رحلة الورتيلاني ، تناولنا فيه بلاد الحجاز في جوانب مختلفة منها الجغرافية، سياسية، وإقتصادية، وغيرها.

وختمنا هذه الدراسة بخاتمة جاءت كخلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها في الفصول السابقة.

إعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي بالدرجة الأولى وذلك لوصف البلدان وأوضاعها، كما استعنا بالمقارنة والتحليل في بعض المواضع التي تستدعي ذلك.

و لإثراء هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع، و من أهم هذه المصادر:

- الرحلة العياشية "ماء الموائد": لأبو سالم العياشي (ت: 1090هـ/1679م)، تعد رحلته من أهم الرحلات الحجازية، تشبه الكثير من الرحلات المغربية في موسوعيتها، وتضمينها للكثير من المعلومات والفوائد، واثباتها للقضايا و الأحداث وانفرادها بعدد كبير من النصوص النادرة كالرسائل والأشعار، و مختصرات المطولات، والأسانيد العالية، و الأوراد و الوظائف الصوفية و غيرها من الفوائد و التنبيهات، و الملاحظات، و أفادنا هذا المصدر بدراستنا للفصل الثاني في كل ما يتعلق بالبلدان التي زارها وأمدنا بأحوالها وأوضاعها.
- الرحلة الورتيلانية "نزهة الأنظار بفضل علماء التاريخ و الأخبار للحسين الورتيلاني" (ت: 1193هـ/1779م)، و هي أيضا تعد من المصادر الأساسية للتعريف بالبلدان التي زارها ومر بها الوتيلاني في رحلته إلى بيت الله الحرام، أفادتنا في الفصل الثالث.

- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية للشيخ عبد الكريم الفكون (ت: 1073هـ/1662م) اشتمل الكتاب على أربعة أصناف من التراجم لكل صنف فصل خاص به، الأول للعلماء والصلحاء المقتدى بهم، و الثاني لمدعي العلم والمتشبهين بالعلماء، والثالث لمدعي الولاية و الدين من الدجاجلة و المبتدعة، أما الفصل الرابع فقد خصصه لذكر بعض الأصحاب والأحباب، و قد أفادنا هذا المصدر بدراستنا في التعرف على أبرز أفراد عائلة الفكون التي تولت إمارة ركب الحج.
- وصف إفريقيا لمحمد الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، يعد من المصادر الجغرافية الذي يصف العديد من الأماكن بالمغرب الأقصى،و الجزائر، و تونس، و طرابلس، و مصر و كان عند وصفه لهذه المناطق يعطي لمحة تاريخية عنها.
- و من المصادر والمراجع المساعدة أيضا الفهارس والتراجم والطبقات التي كان لها دور مهم في الترجمة، لأصحاب الرحلات المعتمدة في البحث، فهي تزودنا بمعلومات مهمة بالتعريف بالرحالة من حيث أصولهم وبداياتهم العلمية وفي التعريف بالعلماء و المشايخ الذي إنتفعوا منهم في مختلف العلوم، و ذكر ما تحصلوا عليه من الإيجازات و ما خلفوه من مؤلفات إلى جانب ذلك ترجمة لبعض التلاميذ الذين أخذوا عنهم نذكر من هذه الفهارس "إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء"، لأبو سالم العياشي، "وإقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر" للعياشي، وأيضا كتاب "فهرس الفهارس و الأثبات" لعبد الحي الكتاني، وكتاب "صفوة مكن إنتشر من أخبار الصلحاء القرن الحادي عشر" للإفراني، "وطبقات الحضيكي" لمحمد الحضيكي و غيرها.

أما من المراجع الأساسية التي أفادتنا بقسط كبير في هذه الدراسة:

- كتاب "الرحلات المغربية": لمحمد ماكامان يعتبر هذا الكتاب من المراجع الأساسية الذي تناول فيه صاحب المؤلف مجموعة من الرحلات المغربية في الفترة الحديثة، التي اتسمت

بالطابع العلمي التوثيقي منها الرحلات الداخلية، و الحجازية، و السفرية، بالإضافة إلى الرحلات الخاصة ببعض البلدان الأوروبية، و قد ركز في دراسته لهذا الموضوع على جوانب مختلفة الخاصة بهذه الرحلات منها ما هو تاريخي وجغرافي، وسياسي وحضاري، ومن بين هذه الرحلات التي كان لها نصيب وافر نذكر الرحلات الحجازية التي أدرج فيها العديد من العلماء الذين خاضوا غمار هذه التجربة من بينهم أبوا سالم العياشي، وقد أفادنا هذا الكتاب بشكل كبير في الفصل الأول بحيث تعرفنا على طريقة تنظيم ركب الحج لدى الحكام المغاربة، وكذلك الوسائل التي كان يعتمد عليها الحجاج في التنقل وأبرز المشاكل التي كانت تواجههم في طريقهم إلى بيت الله الحرامد

- كتاب "رحلة الورتلاني عرض ودراسة": لمختار بن طاهر الفيلالي، من المراجع المتخصصة والمهمة خلال القرن الثامن عشر ميلادي، وهذا الكتاب يعد دراسة كاملة وشاملة عن الرحلة الورتيلانية، بحيث رصد لنا مختلف الجوانب التي تطرق لها صاحب الرحلة في البلدان العربية التي مر بها، وقد أفادنا هذا الكتاب في الفصل الثالث وهو من الكتب التي سهلت علينا دراسة الرحلة الورتيلانية.
- كتاب "التواصل القيمي للرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار": لعبد الرحمن عزي تناول فيه الرحلة في نطاق مهنته حيث إعتبرها مسيرة إعلامية بجدارة، أو ما سماه هو تقريرا صحفيا "روبورتاجا"، وهذا الكتاب أفادنا في الفصل الثالث في أحوال البلدان العربية التي زارها الورتيلاني.

بالإضافة إلى هذه المراجع إعتمدنا على بعض المذكرات من بينها أطروحة دكتوراه الخاصة بـ: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (1520-1830م) لفوزية لزغم، أفادتنا في الفصل الأول عندما تطرقنا إلى إمارة ركب الحج، كما كانت لنا دليلا يقودنا إلى مصادر ومراجع هذه الدراسة.

وكأي بحث أكاديمي إعترضتنا جملة من الصعوبات يمكن إجمالها فيما يلي:

- إفتقار مكتبة الكلية في الكثير من المصادر والمراجع المتعلقة بالفترة الحديثة وعدم تحصلنا على بعض المراجع الدارسة لهذا الموضوع.
- ضيق الفترة الزمنية لإنجاز هذه المذكرة والمحددة بسداسي واحد، مما أدى إلى تشتيت أفكارنا، وكذلك إيجاد صعوبة في تقسيم الوقت ما بين مرحلة جمع المادة ومرحلة تدوين المعلومات في شكلها النهائي فاضطررنا للقيام بالعمليين.

مدخل

الرحلة وأغراضها

- الرحلة في مفهوم القرآن الكريم والسنة النبوية
- الرحلة في اللغة والإصطلاح
- دوافع الرحلة وأنواعها
- مفهوم أدب الرحلة
- دواعي تدوين الرحلة

1- الرحلة في مفهوم القرآن الكريم والسنة النبوية:

حث الاسلام على الرحلة، وشجع الناس عليها، سواء كانت لطلب العلم أو الهجرة بالدين من أرض الشرك الى أرض الاسلام أو الحج أو التجارة، كونها تعود عليهم بمنافع في حياتهم العلمية، والعملية، والدينية.

وتبدو عناية ديننا الحنيف بالرحلة، من خلال وجود ذكرها لفظا أو معنى، مرات عدة في القرآن الكريم، والحديث الشريف، الا أن لفظ الرحلة ورد مرة واحدة في الكتاب المحكم في سورة قريش التي يقول فيها الله تعالى: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ** ﴾[1].

وقد أفردت هذه السورة بكاملها للحديث عن الرحلة، وهي من أهم الرحلات التجارية في التاريخ نظرا لأبعادها الحضارية والدينية، فموقع مكة المكرمة في واد غير ذي زرع جعلها منطلقا للتجارة[2]، حيث كانت لقريش رحلتان: احدهما الى اليمن زمن الشتاء والاخرى الى الشام في فصل الصيف، يذهب التجار فيهما للكسب، و اجتلاب الربح، والاستكثار من الرزق[3].

كما ورد لفظ "رحل" في القرآن الكريم، بمعنى البعير، وهي مرادفة للرحلة في قوله تعالى:

﴿**فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾[4]، وتنوعت المفردات الدالة على نشاط الترحال، في القرآن الكريم، وكان منها: الظعن، والاسراء، والسفر، والحج، والهجرة، والسير، فمثلا وردت لفظة الظعن مرة واحدة في سورة

---

[1] - سورة قريش، الآية: 1-4.

[2] - الجوهرة بنت عبد الرحمن المنبع، الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية في فترة (1920م-1953م)، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (دط)، 2010، ص: 29.

[3] - محمد عبده، الأعمال الكاملة، ج5، تح وتق: محمد عمار، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993، ص: 507.

[4] - سورة يوسف، الآية: 70.

النحل أما لفظتي أسرى وإسراء فوردت في موضعين من سورة الانفال وموضع واحد في سورة الاسراء[1].

أما بالنسبة للسنة النبوية الشريفة نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشجع أصحابه على الرحلة، ويحثهم عليها بغية طلب العلم، ونشر الاسلام، وكذا التأمل في هذا الكون، والتدبر في آيات الله تعالى. ومن الأحاديث التي تؤكد على أهمية السفر ما رواه أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ رَحْمَةَ اللَّهِ لِلْمُسَافِرِ لأَصْبَحَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَلَى ظَهْرِ سَفَرٍ ، إِنَّ اللَّهَ بِالْمُسَافِرِ لَرَحِيم**"[2].

ومن أشهر الرحلات في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم هجرة الصحابة من أرض الشرك الى الحبشة بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال قوله: "لو خرجتم الى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه." فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرار الى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الاسلام[3]. ثم تلتها الهجرة الثانية وهي الهجرة الكبرى التي خرج بها الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر من مكة الى المدينة حماية للدين الجديد ودعما له[4].

[1] – سميرة أنساعد، رحلة الى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة و تطور البنية)، دار الهدى ، الجزائر، (دط)، 2009، ص: 17.

[2] – محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، صحيح مسلم، تح: محمد سيد عبد رب الرسول، ج17-18، مكتبة أبو بكر الصديق للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، (دت)، ص: 23.

[3] – ابن هشام، السيرة النبوية، مؤسسة المعارف، بيروت، ط2، 2005، ص: 162.

[4] – فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002، ص: 32.

وعقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنقطع الرحلات نظرا لتفرق الصحابة في البلدان المفتوحة واستقرارهم بها، فكثرت أسفار بعضهم لبعض الآخر لمراجعة الأحاديث النبوية خشية نسيانها وحفاظا عليها[1].

ولعل عناية ديننا الحنيف بالرحلة و الحث عليها راجع الى فوائدها ومنافعها الجمة التي تعود على الفرد، بل وعلى الأمة كلها، فإن أرض الله واسعة وخيراتها كثيرة؛ ثم أن الله جل شأنه لا يأمر عباده شيء الا وكان وراء أمره خير كبير، لأن من حكمه أنه لم يجمع منافع الدنيا في أرض واحدة بل فرق المنافع والجهات أحوج بعضها الى بعض. ولذلك كانت الاسفار مما تزيد علما بقدرة الله وحكمته، وتدعوا الى شكر نعمته، والمسافر يجمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب[2].

و منه نخلص من خلال رصدنا لمفهوم الرحلة في القرآن الكريم و السنة النبوية الى أن هذا النشاط قد اقترن بدواعي نفعية كثيرة، منها التجارة، و التدبر في آيات الله، و نصرة الدين، و طلب العلم.

2- مفهوم الرحلة في اللغة والاصطلاح:

1/2-لغة:

لقد حظيت مادة "رحل" بشرح واف في العديد من المعاجم العربية فقد جاء في لسان العرب: "رحل البعير رحلا، فهو مرحول ورحيل، وارتحله جعل عليه الرحل....ارتحلت البعير اذ ركبته....الترحيل والراحل بمعنى الاشخاص والازعاج، يقال: رحل الرجل اذا سار، ورجل رحول وقوم رحل: أي يرتحلون كثيرا"[3]، فالرحلة هنا بمعنى السير.

[1] – عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع و الثامن الهجريين (دراسة تحليلية مقارنة)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،(دط)، 1996، ص: 44.

[2] – محمد السنوسي، ، الرحلة الحجازية،ج1،تح: علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،(دط)، 1976، ص: 45.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، ط3، 1994، ص- ص: 274-279.

وورد لفظ الرحلة في موضع آخر بمعنى الانتقال من مكان الى مكان آخر "والترحال والارتحال، الانتقال هو الرحلة والرحلة، والرحلة: اسم الارتحال والمسير"[1]؛ كما جاءت كذلك بمعنى الوجهة أو المقصد "الرحلة بالضم: الوجه الذي تأخذ فيه و تريده..."[2].

نلمس من خلال عرض بعض "رحل" أن لفظ الرحلة تطور دلاليا عند استخدام العرب، اذ خص في بداية أمره البعير، المسماة بالرواحل[3]؛ كما جاءت أيضا بمعنى دنوا المكان المراد الوصول اليه، أو الاقتراب وقت الرحيل. ولهذه المعاني كلها كان لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر ومنه أخذ لفظ رحال: وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر[4].

ورغم تعدد مشتقات مادة "رحل" الا أنها تشترك في معنى عام واحد، وهو الحركة، التي ارتبطت بالإنسان قبل وجوده على وجه الارض وبعده، وهي دليل حياته، مثلما يكون السكون دليل موته.

2-2 اصطلاحا:

تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح، الا أنها تصب كلها في قالب واحد، حيث عرفها الامام أبي حامد الغزالي (ت:505هـ/1111م): «بأنها نوع حركة ومخالطة»[5]. جاعلا الرحلة عبارة عن احتكاك بالآخر، لأنه لابد أن تكون في الرحلة انتقال وحركة حتى تكون هناك مخالطة.

[1] – ابن منظور، المصدر السابق، ج11، ص- ص: 274-279.

[2] – المصدر نفسه، ج11، ص- ص: 274-279.

[3] – سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص ص: 14،15.

[4] – عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص: 40.

[5] – أبي حامد الغزالي، احياء علوم الدين، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2005، ص: 713.

أما المؤرخ الرحالة عبد الرحمن ابن خلدون (ت:808هـ/1405م) فيعرفها بقوله: «الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»[1]. وهنا يؤكد على أهمية الرحلة، لما لها من فوائد في اثراء معارف المتعلم.

أما بالنسبة لأبي الحسن علي المسعودي (ت:346هـ/957م) فنجده يقول: «ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نهي اليه من الأخبار عن اقليمه كمن قسم عمره على قطع الاقطار، ووزع أيامه بين تقاذف الاسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه»[2]. بمعنى أن الشخص الذي يقوم بالرحلات ليس هو نفسه الشخص الذي يبقى في مكانه ولا يتحرك.

في حين يعرفها صلاح الدين الشامي بقوله: "تكون الرحلة في المفهوم العام لحساب أي هدف أو أي غاية، رحلة برية أو بحرية أو جوية، وفي اطار هذا التنوع في الوسيلة تظل الرحلة انجازا أو فعلا أو مباشرة لما يعنيه أو يقتضيه أمر افتراق حاجز المسافة، او اسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه والمكان الذي تنتهي اليه. وقد تكون الرحلة انجازا صعبا وشاقا على الطريق، بين المكان والمكان الآخر، ولكنها تجاوب-بكل تأكيد- حاجة الحياة"[3].

وهكذا بعد أن تعرفنا على الرحلة في مفهومها اللغوي، والاصطلاحي يتضح لنا أن الرحلة نوعا من الحركة، وهي أيضا مخالطة للناس والأقوام.

[1] – عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، مج1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 2006، ص: 627.

[2] – أبو الحسن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، (دط)، 2005،ص: 6

[3] – صلاح الدين الشامي، رحلة عين الجغرافيا المبصرة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط2، 1999، ص: 11.

3- دوافع الرحلة وأنواعها:

3-1- دوافع الرحلة:

إهتم العرب بالرحلة وشدوا لها الرحال من كل شق وصوب فقد أدى إنتشار الأمن والإستقرار والتمدن الحضاري إلى تعدد دوافع الرحلة التي نجدها كثيرة ومتنوعة، فلكل رحالة دافع حفزه للقيام برحلته، والذي يختلف عن دافع رحالة آخر، و يمكننا أن نحدد دوافع الرحلة في النقاط التالية:

3-1-1- الدافع الديني:

يعتبر من العوامل الأساسية والقوية التي تدفع بالرحالة إلى شد رحاله نحو المشرق الإسلامي لأداء مناسك الحج، فالرحلة إلى المشرق كانت تعني الحج في الأساس، إذ المتعارف عند المغاربة أنهم يقولون ذهب إلى الشرق ويعنون تأدية فريضة الحج، فالهدف الأول من الذهاب إلى الشرق هو الحج وزيارة البقاع المقدسة[1]، التي تعد فريضة تعبدية خالصة، والخروج في هذه الرحلة فيه إمتثال لإرادة الله ولكن الخروج جاء مشروطا بالقدرة أي مبنيا على الإستطاعة المادية والصحية والإجتماعية[2]، ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[3].

وعلى الرغم من ذلك فقد أقدم المسلمون على تلبية هذه الدعوة الكريمة بكل حماس، ينفقون في سبيلها كل مرتخص وغال[4]، وهذا مما أتاح لبعضهم مشاهدة مناطق مختلفة وأقطار متعددة، فتناولها بالوصف والتحليل فيما رووه أو كتبوه[5]. وقد سجل النابهون من هؤلاء الحجاج مشاهداتهم

[1]- الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج1، منشورات عكاظ، الرباط، (دط)، 1990، ص: 69.

[2]- صلاح الدين الشامي، المرجع السابق، ص: 116.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 97.

[4]- فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص: 31.

[5]- عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1984، ص: 52.

وإرتساماتهم وأحاسيسهم، وكذا الطرق والدروب التي مروا بها وسلوكها، والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة.[1]

فمن حق الحاج على سلفه أن يبين له خير الطرق للوصول إلى الأماكن المقدسة ويشرح له المخاطر ليستعد لها، ويعرض عليه ما يمكن أن يلقاه من مصاعب ليتغلب عليها[2].

ولم تكن الرحلة ذات الدوافع الدينية مقتصرة على بلاد الحجاز، فهناك الرحلة إلى الأماكن المقدسة في بلاد الشام، نظرا لماضيها السياسي المشرق وريادتها العلمية والثقافية التي استمرت لفترة طويلة، فمكانه القدس الشريف عظيمة، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين، والرحلات الدينية لم تقف عند هذا الحد بل اتسع نطاقها فاتخذت أشكالا أخرى، فهناك الرحلة بغرض الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته[3].

3-1-2- الدافع العلمي:

شجعت الدولة الإسلامية طلب العلم، وحرضت عليه وقدرت العلماء فجعلتهم ورثة الأنبياء ودعا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الناس إلى طلب العلم[4] في قوله: « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»[5].

وطبيعي أن تكون الرحلة من أهم الوسائل لطلب العلم في أوائل العصر الإسلامي، فقد كانت الكتب نادرة، وكانت الدراسة العلمية تقوم مقام المراجع والمؤلفات اليوم، وفضلا عن ذلك فقد تعددت مراكز الثقافة في ديار الإسلام، فكان رجال العلم ينتقلون من إقليم إلى آخر يدرسون

[1]- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للباعة والنشر والتوزيع، جدة، (دط)، (دت)، ص: 13.

[2]- فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص: 31.

[3]- نواف عبد العزيز الجحمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي (6هـ-8هـ/12م-14م)، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات، ط1، 2008، ص ص : 27، 28.

[4]- فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص: 31.

[5]- محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، المصدر السابق ، ص: 21.

على مشاهير الأساتذة ويلتقون بأعلام الفقهاء والمحدثين واللغويين وكذا الأطباء والفلاسفة والرياضيين[1]؛ولم تقتصر الرحلات عند المسلمين على طلب العلم ولأخذ عن الشيوخ، بل تعدت ذلك، إلى نشر علومهم، ومعارفهم في المدن والأمصار، وتلقين دروسهم للراغبين في ذلك[2].

3-1-3- الدافع التجاري:

كانت التجارة عند العرب منذ القديم، دافعا لإنجاز الرحلة، لكنها وصلت درجة بالغة الأهمية، بعدما تطورت الحياة الإقتصادية في العالم الإسلامي، واتسع نطاق التجارة فيه، وتعداه إلى دول أخرى غير إسلامية[3]، ولم يكتفوا بالرحلة برا بل ركبوا البحر أيضا خاصة بعد أن وجه الله تعالى أنظارهم لذلك[4]، بقوله تعالى:﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[5].

وقد كان من بين التجار من هو فقيها أو محدثا أو مفسرا والعكس صحيح، إذ وصل بعضهم إلى مصاف كبار العلماء المعاصرين بحيث لا يكاد أحدهم يصل إلى بلد من البلاد إلا ويلتفوا حوله التجار ذلك البلد من ناحية، وعلمائه من ناحية أخرى الفريق الأول يشترون منه ويبيعون له، والفريق الثاني يسمعون منه ويتحدثون إليه[6].

---

[1]- أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص: 12.

[2]- سميرة أنساعد المرجع السابق، ص: 26.

[3]- المرجع نفسه، ص: 29.

[4]- عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص: 36.

[5]- سورة الإسراء، الآية: 66.

[6]- نواف عبد العزيز الجحمة، المرجع السابق، ص: 37.

3-1-4- الرحلات الرسمية:

يضم هذا النوع كلا من الرحلات التكليفية، والإدارية والسفارية[1] وهو لون من ألوان الرحلة المعاشية، إذ عن طريقها يتم إبرام العقود والصفقات فضلا عن تذليل الصعاب وفض المنازعات[2]، وهذه الرحلة قد تكون في البر أو البحر وهي تسير بموجب التكليف من ولي الأمر امتثالا لمصلحة عامة مشروعة لحساب الإسلام والمسلمين[3].

ويدخل في باب التكليف بالرحلة الحاجة أيضا إلى المعلومات والبيانات عن البلدان والشعوب التي امتد إليها الإسلام، وأصبحت جزءا من عالمه فقد اقتضت ضرورة الحكم والإدارة، وتقدير الثروات وحجم الضرائب أن يكلف الحكام بعض الأشخاص بالقيام برحلات تفقدية لجمع البيانات والحقائق، وتقديم التقارير[4]، وكانوا يسجلون ذلك في رسائلهم، وقد يرحلون حبا للإستطلاع[5].

إذن تعددت دوافع الرحالة وتنوعت، بل إن الرحلة الواحدة قد تضم أكثر من دافع (ديني ورسمي....) لأن الإنسان بطبيعته دائما بحاجة ماسة إلى الرحلة والإنتقال.

3-2- أنواعها:

أما فيما يتعلق بنوع الرحلة، فإنها تتحدد من خلال الدافع في حد ذاته، فإذا كان الدافع دينيا كانت الرحلة دينية، وإذا كانت بهدف طلب العلم كانت الرحلة علمية.... وهكذا تتباين أنواع الرحلة بتباين دوافعها.

---

[1]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص: 30.

[2]- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 1996، ص: 27.

[3]- صلاح الدين الشامي، المرجع السابق، ص: 114.

[4]- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات (الرحلة في التراث العربي والاسلامي)، عالم المعرفة، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، والآداب، الكويت، (دط) 1978، ص: 81.

[5]- شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1987، ص: 9.

فقد عرفت الرحلات عند العرب أنواعا كثيرة، فحاول الدارسون تصنيفها، وحصرها في أنواع عامة، لكنهم اختلفوا في تصنيفاتهم لها، فنجد صلاح الدين الشامي عين ستة أنواع للرحلة، ثلاث منها ظهرت قبل الإسلام، وهي: رحلة التجارة، ورحلة الجهاد، ورحلة السفارة، أما الرحلات الثلاث الأخرى التي ظهرت بمجيئ الإسلام وأضيفت إلى قائمة الرحلات فهي: رحلة الحج، ورحلة طلب العلم ورحلة التجوال والطواف[1].

أما محمد الفاسي فقد أضاف على الأنواع المذكورة، أنواعا أخرى ورأى أن عددها خمسة عشر نوعا وهي الرحلات: الحجازية، السياحية، الرسمية، الدراسية، الأثرية، الاستكشافية، الزيارية، السياسية العلمية، المقامية، البلدانية، الخيالية، الفهرسية، العامة، السفارية[2].

ويبدوا أن هناك تداخلا بين هذه الأنواع، كالحاصل بين الرحلات: الدراسية والعلمية والفهرسية وكذلك بين الرحلات الرسمية، والسياسية، والسفارية.

4- مفهوم أدب الرحلة:

تعددت التعريفات لأدب الرحلة من قبل الباحثين والدارسين، إلا أنها تشترك في مفهوم واحد باعتبارها فنا من فنون النثر، ومنها ما جاء في "معجم المعطيات العربية في اللغة والأدب" أن أدب الرحلة هو: «مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد»[3].

[1]- صلاح الدين الشامي، المرجع السابق، ص- ص: 113- 117.

[2]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، نقلا عن: محمد بن عثمان المكناسي، الأكسير في فكاك الأسير،ص:23

[3] - مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984، ص: 17.

فأدب الرحلة حسب هذا التعريف هو تلك المؤلفات التي تسرد مغامرات الرحالة التي قام بها في مختلف البلدان، وتتضمن انطباعاته من خلال تسجيله لما شاهده من عادات وسلوك ذلك البلد وغيرها من المظاهر المختلفة.

في حين نجد أنجيل بطرس يعرف أردب الرحلة في كتابه "الرحلات في الادب الإنجليزي": «هو ما يمكن أن يوصف بالواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلاد العالم ويدون وصفا لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير»[1]، أما ناصر موافي فيعرفها بأنها: « ذلك النثر الذي يصف رحلة – أو رحلات– واقعية، قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات والموضوع، من خلال المضمون والشكل..... بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه»[2].

ومن خلال هذين التعريفين نجد أن أدب الرحلة يعتمد على النثر، شرط أن تكون الرحلة واقعية، أي حدثت بالفعل مثل رحلة الورتلاني والعياشي؛ غير أن هناك رحلات شعرية بعضها مكتوبا بالشعر الفصيح، وبعضها بالشعر الملحون، ومن الرحلات المكتوبة بالشعر الفصيح عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، أما قصيدة محمد بن مسائب التلمساني فهي تندرج ضمن الشعر الملحون[3].

[1]– حميدة عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، 2005، ص: 46.

[2]– ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ط1، 1995، ص: 41.

[3] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1998، ص ص: 388، 389.

وبناءا على ما سبق يتضح لنا أن أدب الرحلة يعتمد على عدة أسس أهمها[1]:

- يقوم على رحلة – أو رحلات – واقعية في زمان ومكان محددين.
- وأن الذي يقوم بها رحال تمكن حب الرحلة منه، يصف انطباعاته ومشاهداته في هذه الرحلة.
- وأن الوصف يجب أن يوازن بين الشخص الرحال من ناحية، والرحلة كموضوع من ناحية أخرى.
- ويستخدم النثر المعبر عن ذات الرحال، والحامل لخصائصه دون تكلف أو إسراف مع المحافظة على بنية تكفل تماسك العمل ووحدته، ذا معالم واضحة يكفل تحقيق الترابط بين أجزاء العمل، من لدن البداية وحتى النهاية.
- فن قائم بذاته، له أصوله وقواعده الفضفاضة، التي تتيح له قدرا كبيرا من المرونة والقدرة على التطور والتلون حسب مقتضى كل فرد، أو عصر أو بيئة.
- يهدف إلى التأثير في القارئ والتواصل معه حيث يستمتع بكل ما فيه، وترداد ثقافته ومعارفه بطريقة غير مباشرة أو محسوس.

ومن خلال ما سبق ذكره يمكننا القول أن أدب الرحلة فن من الفنون الأدبية، مكن القارئ من التعرف على انطباعات الرحالة حول الأماكن والمناطق التي مروا بها، من مختلف نواحي الحياة.

[1]- ناصر عبد الرزاق الموافي، المرجع السابق، ص ص: 40، 41.

5- دواعي تدوين الرحلة:

هناك دواعي كثيرة أدت بالرحالة إلى سرد أحداث رحلته، ونقلها إلى القارئ، وتضمنت مختلف مظاهر البلدان التي زارها (الدينية والإجتماعية والثقافية...) وقد تمثلت هذه الدواعي فيما يلي:

1- تلبية رغبة الآخرين من حكام، وأصدقاء أو أقرباء، بتدوين الرحلة.

2- تقديم معلومات ثرية للقارئ عن المعارف والعلوم، والتعريف بالأعلام وبمؤلفاتهم.

3- التعريف بالبلدان والممالك التي زارها، وتحديد الطرق والمسالك، وتبيين مواقع الخطر والمشقة حتى يستفيد الآخرون منها.

4-سرد أخبار الأمم والأقوام - ماضيها وحاضرها- من عادات وتقاليد وطقوس.

5-إبراز المناسك حيث كان سببا وراء التدوين كل رحلات الحج.[1]

6- التأريخ للأحداث المتنوعة، وتقديم معلومات موجزة، أو منفصلة عن الأحوال السياسية والإقتصادية، والإجتماعية، للبلدان المجتازة أو المقصودة عن الزيارة.

7- دعوة الرحالة مواطنيه إلى التغيير من أحوالهم، وتوعيتهم.

8- رغبة المشاركة في أدب الرحلات عند الرحالة، وتدوين أخبار رحلته على منوال ما دونه السابقون من الرحالين والأعلام البارزين في هذا الفن أمثال المسعودي، والمقدسي، ابن جبير، وابن بطوطة،.... وغيرهم من الرحالين[2].

إضافة إلى هذه الدواعي قد تكون الظروف المواتية والتسهيلات الممنوحة للرحلة وأصحابها، دافعا لتدوين رحلاتهم.

[1]- حسين نصار، أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1991، ص- ص: 51-55.

[2]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص: 36.

الفصل الأول

إمــارة ركب الــحج

المبحث الأول: ركب الحج المغربي الجزائري

المبحث الثاني: متطلبات الحج و مشاكله

المبحث الأول: ركب الحج المغربي و الجزائري

تعتبر إمارة ركب الحج من المناصب الدينية التي أشرف الحكام والسلاطين على تنظيمها، وذلك من خلال تعيين أمير للركب تتوفر فيه جملة من الشروط المناسبة تؤهله لهذه المهمة من أجل ضمان السير الحسن و الأمثل لقوافل الحج.

1- كيفية تنظيم ركب الحج:

كلما ذكرت الرحلة الحجازية إلا وذكر معها ركب الحج[1]، الذي يجسد الاعتبارات الدينية والعلمية و السياسية و الإجتماعية وكان لكل جهة ركبها، ففي المغرب الأقصى خمسة، تزيد وتنقص حسب الأزمنة و هي: الركب الفاسي[2]، و الركب المراكشي[3]، الركب السجلماسي[4]، الركب الدرعي[5]، الركب الشنكيطي[6]. تجتمع هذه الركاب بإسم الركب المغربي و تعتبر صورة من مجتمع

[1]- **ركب الحج**: هو عبارة عن مدينة متنقلة بنظام و يشرف على سيرها و راحتها و أمنها أمير الركب و بجانبه الإمام و القاضي ويتحرك الجميع بأمتعتهم على الإبل . ينظر: مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، ط2، 1981، ص:25.

[2]- **الركب الفاسي**: كان يخرج من فاس و يرجع عهد تأسيسه إلى أوائل الدولة المرينية و قد حل هذا الركب محل الركب الصالحي و هو أول ركب مغربي أسسه محمد صالح دفين مدينة أسفي سنة(631هـ/1233م). ينظر: محمد المنوني، من حديث الركب المغربي ، مطبعة المخزن ، المغرب ، (د ط)، 1953 ، ص-ص : 7-9،10.

[3]- **الركب المراكشي**: كان يخرج من مراكش و يذهب فيه أهل هذه البلدة و نواحيها و غيرهم ، و كان هو ركب الدولة الرسمي أيام السعديين و الغالب أنه تأسس في أيامهم و إنقطع بعد إنقراض دولتهم . ينظر: محمد المنوني ، المرجع نفسه، ص:36.

[4]- **الركب السجلماسي**: كان يخرج من سجلماسة و يذهب فيه أهل تافيلالت و من انضاف لهم و هو ركب قديم ، عمر طويلا و كان يسير تحت إمرة رئيس يختاره أهل الركب من أمثل القوم. ينظر: محمد المنوني ، المرجع نفسه، ص: 33.

[5]- **الركب الدرعي**: كان هذا الركب يكون مع الركب السبحلماسي ركبا واحد إلى أن انفرد الشيخ محمد بن ناصر الدرعي في حجته سنة (1070هـ/1659م) بركبه. ينظر : محمد ماكامان ، الرحلات المغربية في القرنين(11-12هـ /17-18م) ، مطبعة الأمنية ، المغرب ، ط1، 2014، ص:133.

[6]- **الركب الشنكيطي**: تأسس بعد عمارة شنكيط و كان يسافر سنويا و يمشي فيه كل من أراد الحج من سائر شنكيط. ينظر : محمد المنوني ، المرجع السابق، ص: 39.

منتقل و متكون من مختلف المناطق المغربية بحواضرها و بواديها ، بفقهائها و عامتها و قاضي الركب وشيخه[1].

بينما كان يخرج من أيالة الجزائر [2] ركب واحد كل عام ، يتشكل عن طريق تجمع العديد من القوافل الحج الفرعية القادمة من جميع أنحاء الأيالة: معسكر ، المدية و قسنطينة ، و عنابة و غيرها لتتجمع في مكان واحد و هو بسكرة [3] التي كانت نقطة إلتقاء الركب الجزائري[4].

و قد حرص الحكام المغاربة على تنظيم ركب الحجيج و الإشراف عليه و تقديم شيخوخة، و ذلك محافظة على الإنضباط و التعبير عن سلطة الدولة و مهامها، كما أن تدخلهم في تنظيمه يهدف إلى الجمع بين السلطتين الروحية و الدنيوية؛ و كان الشيوخ البارزون في المجال الصوفي أو العلمي المرافقون للركب محل عناية من قبل الحكام، و كان هؤلاء الحكام حريصين على إختيار أمراء الركب، الذين تطمئن لهم نفوسهم و يحضون بثقتهم[5].

أما أمير الركب[6] الجزائري فقد كان يتم تعينه من طرف أعلى سلطة في البلاد وهو الباشا، كما كان يمكن لبعض كبار رجال الدولة أن يشرفوا على تعينه ، وذلك بإذن من الباشا؛ و بما أن الرحلة

---

[1]- محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص:133.

[2]- **الجزائر**: مدينة عامرة عرفت في القديم بـ "إيكوزيوم" وهي مدينة رومانية، معناها الجزر، سميت بذلك لأنها مجاورة لجزر ميورقة ومنورقة واليابسة، لكن الإسبانيين يسمونها "ألجي"، والمدينة قديمة من بناء قبيلة إفريقية تدعى "مزغنة"، فأطلق عليها القدماء هذا الإسم. ينظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط2، 1983 ، ص: 37.

[3]- **بسكرة**: مدينة عريقة في القدم أسست أيام كان الرومان يحكمون بلاد البربر. ينظر: حسن الوزان، المصدر نفسه،ج 2، ص: 138.

[4]- فوزية لزغم، البيوتات و الأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني و دورها الثقافي و السياسي (1520-1830م)، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، (2013-2014م) ، ص: 439.

[5]- محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص ص : 134،135.

[6]- **أمير الركب**: المشرف على الحجيج منذ الخروج إلى العودة به من مكة، يعرف في المشرق بأمير الحج، و هو في الغرب الإسلامي شيخ ركب الحجاج أو أمير الركب. ينظر: أبي العباس الهلالي السجلماسي، رحلة السجلماسي، تح: محمد بوزيان بنعلي، تراث فجيج ، ط1 ،2014،ص:91.

إلى أراضي المقدسة من الجزائر كانت تستغرق حوالي سنة ، فإن إمارة ركب الحج لم تكن توكل لشخص واحد لسنتين متواليتين، لهذا فإن التكليف بها لم يكن عاما، بحيث كان لا بد من تجديد كتابة التعيين للأمير في كل مرة يكلف فيها بإمارة الركب[1].

و كان ركب الحجيج يضم مختلف شرائح المجتمع المغربي من علماء و مرابطين ووجهاء و فقراء؛ و قد ذكر العياشي في رحلته صورة لركبه فقال:« وكتبت أيضا إلى من له من أهل الركب وجاهة أو كلام يسمع كصاحبنا الفقيه النبيه المحترم الوجيه، قاضي مدينة مراكش و أعمالها و أحد قضاة العدل في مغربنا على إختلاف أعمالها، سيدي أحمد الخطيب[2]»، و هذا يدل على أن للإعلام نفوذا في سير الرحلة، و حتى الرحالون أنفسهم كانوا يتمنون وجود نخبة من الحجاج في الركب رغبة في الإفادة؛ و في رحلة الورتيلاني ما يدل على أن حج العلماء و الفضلاء يزيد من عدد الحجاج من خلال قوله:« فلما سمع الناس من عماله الجزائر بحج هؤلاء الفضلاء و نخبة العلماء ، حركهم ذلك إلى شد الرحال إلى بيت الله الحرام من كل بلد ووقع الضجيج من عامة المسلمين و من خاصتهم، و ذلك من الحاضرة و البادية، حتى ذهب جميعهم بنسائهم و أولادهم»[3].

و حضي ركب الحاج المغربي بكامل التقدير و العناية من طرف الملوك و شيوخ العلم و التربية و عامة الشعب ، فكانت حفلات توديع الحجاج تتم أولا على مستوى وفود الأقاليم قبل إلتقائها في فاس، أو في مراكش في العصر السعدي بحيث تقام أفراح الوداع وزيادة أضرحة الأولياء بحضور علية القوم[4].

[1]- فوزية لزغم، المرجع السابق. ص:440.

[2]- أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية (ماء الموائد) ، مج1، تح: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويد للنشر و التوزيع،ط1، 2006 ، ص:57.

[3]- الحسين الوتيلاني، الرحلة الورتيلانية (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار) ، مج1، تع: إبن مهنا القسنطيني ، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الجزائر ،(د ط) ،2011، ص: 44.

[4]- محمد ماكامان، المرجع السابق، ص:136.

و كان الأمير يعلن عن إنطلاق رحلة الحج في المدينة الجزائر عن طريق ضرب الطبل، إذ ورد في بعض مراسيم تعيين الأمير« و أذنا له بضرب الطبل و يتوجه بالمسلمين كما كان و يكون... »[1] وورد في رحلة الوتيلاني:« سمعنا أن الشيخ الفاضل الكامل شيخ الركب سيدي محمد المسعود، نجل الشيخ البركة سيدي المهوب ..... قد ضرب طبلة في المدينة المحروسة الجزائر، على عادة الأمراء في ذلك»[2]، و عندما يكون الركب المتوجه إلى الحج في طريقه إلى الأراضي المقدسة يكون الركب الذي خرج في السنة الفائتة في طريق العودة، بعد أن أدى فريضة الحج ، و كثيرا ما يلتقي الركبان في تونس[3] أو طرابلس[4].

كما كان على الأمير العودة إلى نقطة الإنطلاق ، و هي مدينة الجزائر حتى و إن مر الركب بداره، و عندما يصبح الركب على مشارف مدينة الجزائر تنصب الأعلام و الرايات ، و لما يدخلها يحضى بإستقبال رسمي من طرف أعلى سلطة في البلاد و المتمثلة في الباشا، فإذا كان هذا الأخير راضيا عن مهمة الأمير في تسييره للركب ، يعينه أمير لموسم آخر، و يكتب له بذلك[5]؛ و هذا ما

[1] - mercier arnest, « constantine au 17 siècle, élévation de la famille el frgoun » extrait du recueil des notice et mémoire de la société archéologique de constantine.v XIX,année :1878,cosntantine : typographie L.Arnolet AD.Braham, 1879.p :17.

[2]- الحسين الورتيلاني ، المصدر السابق،مج1، ص:40.

[3]- **تونس:** يسمي اللاتينيون هذه المدينة "تونيوتوم"، و يسميها العرب "تونس"، لكن هؤلاء يعتقدون أن هذا الإسم محرف إذ لا مدلول له في لغتهم، و كانت تدعى في غابر الأزمان "ترسيس" كنظيرتها في آسيا. ينظر:حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص:70.

[4]- **طرابلس:** بناها الأفارقة تحيط بها أسوار عالية جميلة لكنها غير متينة كما يجب، و تقع في سهل رمل مغروس بنخل كثير. ينظر: حسن الوزان، المصدر نفسه، ج2، ص:97.

[5]- فوزية لزغم، المرجع السابق، ص-ص : 439-141.

ذكره عبد الرحمان المجاجي[1] في رحلته في الأبيات التالية[2]:

نَصَبْنَا بُنُودًا فَوْقَ رَأْسِ أَمِيرِنَـــا نَسِيرُ بِسَيْرٍ لَيسَتْ فِيهِ عَجِيلَةُ

دَخَلنَا بِهِ وِسْط الجَزَائر قَصْدَ مَنْ لَهُ فِي بِلَادِ الخَيْرِ بُنْدٌ وَرَايَـــةٌ

وسُلْطانُهُم وَ الحَافظُ لأُمُورِهِـمْ وَ منْصُورُهُم بِاللهِ وَهْوَ المَعُونَةُ

وَقَضَى لِأَمِيرِ رَكْبِنَا مَا يَخُصُّـــه ورَحَّبَ بِهِ تَرْحِيباً بِبَشَاشَـــةٍ

وَأَثْبَتَـــهُ عَلَى عَـوائِد جَـــدِهِ وَثَّم أَبِيـــه عِنَد كُلِّ قَبِيلَـــة

وَ ثَقَة بالكُتْبِ و الطَابِعِ الّذِي تَوَارَثَتْهُ الأَمْـلَاكُ عِنْدَ الإِمَارَةِ

نلاحظ من خلال عرضنا هذا أن الحكام في كل من المغرب الأقصى و الجزائر، أولوا عناية كبيرة بتنظيم ركب الحج ، وذلك من خلال تعين أمير يشرف على راحة و أمن الحجاج، و كان لوجود العلماء و الفقهاء في صفوف الحجيج يزيد من قيمة الركب، حيث كان يتم اللجوء إليهم في مسائل الدينية العلمية.

2- شروط تعيين أمير ركب الحج و مهامه:

كان لتعين أمير ركب شروط أساسية يجب لأن تتوفر فيه و هي: أن يكون مطاعا ذا رأي و شجاعة وهيبة و هداية و يتمتع بالأخلاق الفاضلة[3]، فنادرا ما تسند مشيخة الحجيج لمن لا

[1]- **عبد الرحمان المجاجي**: عالم بالحديث، فقيه، أصولي ، مشارك في بعض العلوم ، من أهل مجاجة ، تعلم بها وبتلمسان، ثم انتقل إلى المغرب و سكن مدينة فاس من أثاره "التبريج في أحكام المغارسة". ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر ، لبنان، ط2، 1980، ص:286.

[2]- عبد الرحمان المجاجي، رحلة المجاجي (دراسة و تحقيق)، تح: سعاد آل سيدي الشيخ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بكلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، (2007-2008 م)، ص:182.

[3]- أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية و الولايات العامة الدينية، نشر دار الكتب العلمية، لبنان ،(د ط)، (د ت) ص: 139.

عصبية له أو من ليست له مكانة إجتماعية تفرض إحترامه، حتى لا تتعرضه في القيام بمهامه[1]، سيما أن الركب يضم أناس من مختلف شرائح المجتمع، و من مستويات فكرية و أخلاقية مختلفة كما يضم بعض الاعيان و منهم من يتمتع بنفوذ قوي بين الحجاج ، و هكذا فإن تسيير الركب يستلزم قوة شخصية و صرامة طيلة سنة كاملة[2].

كما أن هناك تفاوت واضح في المستوى الفكري لهؤلاء الأمراء، فمنهم من كان من كبار العلماء كالشيخ عبد الكريم الفكون الذي وصفه العياشي بأوصاف التحلية في هذا النص:« و ممن لقيته بطرابلس الشيخ الفقيه المشارك النبيه سيدي محمد بن العلامة الفهامة الناسك الخاشع الجامع بين علمي الظاهر و الباطن[3]، سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسمطيني رضي الله عنه و نفعنا به»[4]، و هناك أمراء آخرون ذو مستوى فكري محدود ، وذلك لخلو أسمائهم من التمجيد العلمي و يظهر هذا في وصف العياشي لهؤلاء الامراء بقوله: « ...دخلت علينا الأركاب الآتية من المغرب؛ ركب أهل فاس أميرهم الحاج محمد القسيمي، وركب أهل مراكش و أميرهم الشيخ المبارك الحاج إبراهيم الفران....»[5]، و هذا يدل على أنهم لم يكونوا من كبار العلماء خاصة و أن الركب كان يضم العديد من الفقهاء و العلماء.

[1]- محمد ماكامان، المرجع السابق،ص:135.

[2]- فوزية لزغم ، المرجع السالق،ص:445.

[3]- **علم الظاهر والباطن**: علم الظاهر يدل على مختلف أنواع العلوم النقلية والعقلية بأصولها وفروعها، ويستشهد فيه بنصوص ظاهرة، ويتم إكتسابه بواسطة التعلم، والتحقيق، والسماح، والمطالعة وغير ذلك، أن علم الباطن فهو العلم اللدني عند المتصوفة،أي العلم العلم الذي ياتي من لدن الله تبارك وتعالى مباشرة، وهو يبتدأ من الباطن، أي أن الإرادة والرغبة في إكتسابه نابعة أساس من باطن الأفراد ، وهو بذلك علم وجداني، يهبه الله لبعض الناس، ولا ينبني على أية أدلة ظاهرة. ينظر: أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر بد ذهاب أهل الأثر، تح: نفيسة الذهيبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1996، ص :111.

[4]- أبو سالم العياشي ، المصدر السابق، مج1، ص: 514.

[5]- المصدر نفسه،مج1، ص:501.

و قد كانت الأسر التي تولت إمارة ركب الحج تتمتع بثروات هائلة من خلال الإمتيازات والوظائف الممنوحة لها كعائلة الفكون التي منحت لها وظيفة القضاء و الإمامة و الخطابة بالجامع الكبير وهو منصب يعني الجاه و الثروة[1]، وكانت لهذه العائلة علاقة حسنة مع السلطة العثمانية وعائلة عديل في المغرب الأقصى كان كبيرها من أعيان التجار في عهد المولى إسماعيل[2].

أما بالنسبة لمهمة الأمير لم تكن يسيرة فكان عليه أن يتولى قيادة جمع غفير من الحجاج من مختلف شرائح المجتمع، و من مختلف المستويات الفكرية و المادية، و فيمهم ذوي النفوذ و المكانة الإجتماعية طيلة عام أو أزيد، و عليه تسيير الركب و الوقوف على كل متطلبات الحجاج[3]، و اهمها جمع الناس في مسيرهم و نزولهم حتى لا يتفرقوا فيخاف عليهم النوى ،و التغرير و ترتيبهم في المسير والنزول بإعطاء كل طائفة منهم مقادا حتى يعرف كل فريق منهم مقاده إذا سار و يألف مكانه إذا نزل، فلا يتنازعون فيه و لا يظلون عنه، و الرفق بهم في السير حتى لا يعجز عنه ضعيفهم و لا يظل عنهم منقطعهم، و أن يسلك بهم أوضح الطرق و أخصبها، و يتجنب أجدبها و أوعرها ، و أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت و المراعي إذ قلت، و أن يحرسهم إذ نزلوا و يحوطهم إذ رحلوا حتى لا يتخلفهم داعر و لا يطمع فيهم متلصص ، و أن يمنع عنهم من يصدهم عن المسير و يدفع عنهم من يحصرهم عن الحج بقتال إن قدر عليه أو ببذل مال إن أجاب الحجيج إليه و لا يسعه أن يجبر أحدا على بذل الخفارة إن إمتنع منها حتى يكون باذلا لها عفوا و مجيبا إليها طوعا، و أن يصلح بين المتشاجرين و يتوسط بين المتنازعين و لا يتعرض للحكم بينهم إجبارا إلا أن يفرض الحكم إليه فيعتبر فيه أن يكون من اهله فيجوز له حينئذ الحكم بينهم، فإن دخلوا بلد فيه حاكم جاز له و لحاكم البلد أن يحكم بينهم فأيهما حكم نفذ حكمه، و لو كان التنازع بين الحجيج و أهل

[1]- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية سلفية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1986، ص:50.

[2]- محمد ماكامان، المرجع السابق، ص:135.

[3]- فوزية لزغم، المرجع السابق، ص:444.

البلد ،لم يحكم بينهم إلا حاكم البلد، وأن يقوم زائفهم و يؤدب خائنهم، و أن يراعى أن إتساع الوقت حتى يؤمن الفوات و لا يلجأهم ضيقة إلى الحث في السير[1].

كما كان الأمير يسعى لتأمين الغذاء للحجاج ، أو يبادر سكان القرية أو المدينة بإطعام الضيوف و إكرامهم، و قد يجد المسافرون في الأسواق القرى و الأمصار ما يحتاجون إليه من قمح وعلف و سمن و لحم و دواب و هذا دأبهم في تنقلهم الذي يدوم شهور عديدة[2]؛ و من المهام الأساسية لأمير الركب بالإضافة إلى ما ذكر أنه كان يؤدي مسؤولية كراء الدور للمبيت في المدن الكبرى، و أحيانا ينيب عنه من يقوم بهذه المهمة ، و في أغلب الأحيان كان الحجاج هم بأنفسهم من يبحثون عن منازل لكرائها[3].

و قد كان الأمير يستعين ببعض الاشخاص في تسيير الركب و توفير الخدمات المختلفة للحجيج كالقاضي و مهمته الفصل في أمور المتخاصمين و تسجيل العقود، و الكاتب يسجل كل ما يتعلق بالركب ماديا و معنويا، و المنادي الذي كان يسمع الحجاج الأوامر الصادرة عن الأمير، أما حاملي الرايات أو العلامين الذين يعلنون عن الميت أو الرحيل أو في الإحتفالات في الذهاب والإياب ، و كان يتخذ في الطريق دليل ليرشد الركب إلى الطريق، و مواضع وجود الماء، و السير بهم بأسير الطرق و أأمنها[4].

نظرا لصعوبة المهام الموكلة لأمير الركب و المتمثلة في توفير الأمن للحجاج، و السهر على سلامتهم فتطلب ذلك أن تتوفر فيه شروط صارمة، حتى تكون له هيبة و كلمة مسموعة وسط الحجاج.

[1]- أبو الحسن الماوردي، المصدر السابق،ص:139.

[2]- مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص:26.

[3]- فوزية لزغم، المرجع السابق،ص: 444.

[4]- عبد الرحمان المجاجي، المصدر السابق، ص ص : 113،112.

3- نماذج من البيوتان التي تولت إمارة ركب الحج:

تعاقب على رئاسة إمارة ركب الحج العديد من الأسر العلمية التي كانت لها مكانة مهمة لدى السلطة الحاكمة، سواء كانت في المغرب الأقصى أو الجزائر.

3-1- المغرب الأقصى:

ففي المغرب الأقصى كان الحكام يقع إختيارهم على الاسر النبيلة أو الصوفية أو الشريفة ، و تحتفظ الرحلات الحجازية بأسماء هؤلاء المكلفين بهذه الخطة الدينية و هي إمارة الحج فتوارثوها خلفا عن سلف[1]، و من ذلك الركب المراكشي الذي حج برفقته العياشي حيث ورث منصب الإمارة محمد الحفيان عن والده عمران الذي توفي في الطريق، ودفن بمكان يسمى "المخيلي" بضواحي طرابلس و يظهر ذلك نص العياشي:« شيخ الحجاج عمران ، وولده محمد هو شيخ الركب بعد موت أبيه ، و موت أبيه كان في شهر رمضان في السنة الفائقة، و هذا الذي طلع بالركب من مراكش ولده، فلما باتوا بهذا المحل و تسحر قبل الفجر و مابه من ناس، ثم أصابه سعال شديد بأثر ذلك مات منه قبل أن يرتحل الناس من المنزل ، ودفن هناك رحمه الله عليه»[2].

3-2- الجزائر:

و من أبرز البيوتات التي تولت إمارة الركب في الجزائر:

3-2-1- أسرة عبد المؤمن: من البيوتات العريقة بمدينة قسنطينة ، اوكلت إمارة ركب الحج إلى بعض أبناءها خلال العهد الحفصي و بقيت الإمارة في هذه الاسرة إلى النصف الأول من القرن(11هـ/17م) أي حوالي قرن من الوجود العثماني؛ و في هذه الفترة تولاها السيد محمد

[1]- محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص ص : 134،135.

[2]- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، مج2، ص:506.

حفيد الشيخ عبد المؤمن، و هو الذي أشار إليه عبد الكريم الفكون[1] في " منشور الهداية" قائلا بأن معاصره الشيخ محمد الفقيه المقيم بقسنطينة أراد أن يحج[2]: «فأنعم الله بحمله له حبينا محمد حفيد الشيخ عبد المؤمن»[3].

3-2-2- عائلة الفكون: و هي من أقدم العائلات في قسنطينة ، إشتهرت بالعلم و الصلاح قبل الاعمال الحكومية، و هي تنتسب إلى بني تميم العربية، منها شعراء بارعين، و علماء، و متصوفة ، وقضاة ،كانت تتمتع بنفوذ روحي كبير في المنطقة إلى جانب ثرائها و علاقتها الجيدة مع السلطة[4]، مما جعلها تتولى إمارة ركب الحج التي منحت إلى عبد الكريم الفكون الحفيد، و ما يدل على ذلك عدة أمور، منها أنه لم يذكر هذه المهمة مقرونة بإسم جده و لا والده حين ترجم لهما، و لو تولاها أحدهما أو كلاهما لذكرها لأنه كان حريصا كل الحرص على إظهار مجد العائلة و توليها الوظائف السامية، و لاسيما الدينية منها[5]، و يظهر ذلك جليا عندما ذكر أن جده عبد الكريم (ت: 988هـ/1580م) كان مشتغلا بالتدريس، و كان إماما و خطيبا بالجامع الأعظم و قد خلفه في هذه الوظائف إبنه محمد الفكون (ت: 1045هـ/1635م) الذي كان فقيها صوفيا، كما أشار إلى تولي عمه قاسم الفكون(ت: 965هـ/1558م) وظيفة القضاء

[1]- عبد الكريم الفكون :(ت: 1073هـ/1662م)هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون أديب نحوي، محدث ، جمع بين علمي الظاهر و الباطن ، كان عالم المغرب الأوسط في عصره، من أهل قسنطينة كان يلي إمارة ركب الجزائر في الحج ، ينظر: عادل نويهضي، معجم أعلام الجزائر، ص:254.

[2]- فوزية لزغم، المرجع السابق، ص:448.

[3]- عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم و الولاية ، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،لبنان ،ط1، 1987،ص:102.

[4]- أبو القاسم سعد الله، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون، ص ص :37-38،48.

[5]-المرجع نفسه،ص:47.

بمدينة قسنطينة[1]، كما أن إمارة الحج قد بقيت في عائلة عبد المؤمن إلى زمن محمد حفيد عبد المؤمن، أي إلى ما بعد حوالي قرن من وجود العثمانيين[2].

و هناك أربعة وثائق تنص على تولية الفكون إمارة ركب الحج:

الوثيقة الاولى تخص تعيين الشيخ عبد الكريم الفكون سنة (1048هـ /1638م) ، الصادرة عن علي الباشا ، الوثيقة الثانية تثبيت الفكون على ما كان عليه عام (1060هـ/1650م) الصادرة عن مراد باشا، اما الوثيقة الثالثة خاصة بتعين محمد الفكون على وظائف أبيه عام (1074هـ/1664م) الصادرة عن مصطفى أغا بأمر من الباشا[3].

[1]- عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق، ص-ص : 43-47-52.

[2]- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص:49.

[3]-أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص: 54.ينظر :نص الوثائق في الملحق رقم:01، 02، 03، 04.

المبحث الثاني: متطلبات الحج و مشاكله.

تحتاج الرحلة إلى البقاع المقدسة مجموعة من التحضيرات الأولية المتمثلة في المعدات اللازمة من تجهيز الرواحل، و الإعتماد على الدليل تكون له خبرة في الطرق و المسالك السهلة و الآمنة، حتى يتفادى الحجاج المخاطر المحدقة بهم.

1- نقل الحجاج:

1-2- وسائل النقل:

تعد وسائل النقل من أولى إهتمامات الحجاج في رحلتهم إلى البقاع المقدسة، و التي كانت تتمثل في الوسائل التقليدية المنحصرة في الدواب من جمال و بغال و أفراس ، في حين عرف النقل البري في أوربا تقدما ملحوظا بعد إختراع عربة المسافرين التي تجرها الخيل إبتداءا من القرن السابع عشر و لكن الصانع العربي لم يجد المجال مفتوحا أمامه لمثل هذا العمل، و لو هم به لإعترضه التجار الذين يملكون القطر من الإبل للنقل، أضف إلى هذا ما تتطلبه الصناعة من إصلاح الطرق وتعييدها[1].

و قد وصف العياشي هذه العربات عند الركب التونسي أثناء دخوله طرابلس فقال:«ودخل علينا في طرابلس ركب أهل تونس في إشارة حسنة و فخامة هيئة في بشر كثير، وسواد عظيم كسواد الليل يفعم الطرقات كإفهام الليل ، يجرون سبع كراريط و خمي محفات زادت في أبهتهم وزينتهم»[2].

أما بالنسبة للمشارقة فقد إهتموا بمراكبهم و حرصوا على جعلها أنيقة و مريحة حيث لفتت أنظار الرحالين و نالت إستحسانهم ، إذ كانوا يركبون في شقاذف على ظهر الإبل ، و التي عرفها العياشي في قوله: «محمل كبير ما رأيته إلا في أرض الحجاز، ذو شقتين توضع كل واحدة على

[1]- محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص:155.

[2]- ابو سالم العياشي، المصدر السابق،مج2، ص:503.

جنب، البعير و يقرن بينهما بحبال وثيقة على ظهره، و لا بد للراكب فيه من معادل في الجهة الأخرى، مقاربا له في الرزانة ، ثم يوصل بين الشقتين من أعلى بحبال يظلل عليها بغطاء يقي الحر والبرد، و هو من أشهر المراكب و أهناها ، سيما لمن له فرش و ثيرة ووسيدة يتكئ عليها من جانبين ، فإنه لا يكاد يحس بأن الإبل تسير به ، فقد رأينا نن إعتاد الركوب فيه ينام من أول الليل إلى آخره و لا يستيقظ إلا بإناخة الجمل عند النزول ، و قد لا يستيقظ»[1].

إضافة إلى إعتماد الحجاج عل دوابهم الخاصة ، كانوا بمجرد ما يصلون إلى طرابلس يجمدون أنفسهم أما محترفين في النقل و هم المعروفين بالجمالين فكانت لهم وكالات و تنظيمات في طرابلس و القاهرة و جدة و مكة ، و اقاموا لأنفسهم شيوخا للفصل في المنازعات بينهم و بين الحجاج و المسافرين الذين يحتاجون إليهم في نقلهم أو حمل سلعهم فإمتازت هذه الفئة بتنظيمها الحرفي و تضامنها؛ فأصبحت المعاملات معها بعقد الشروط وإلتزام من الطرفين ، و مع ذلك يلجأ الجمالون إلى المراوغة و الإخلال بالواجب و إصطناع الحيل لطلب الزيادة أو تحسين شروط العقد، فكثر ضجر الحجاج من تصرفاتهم ، فالجمال يرغب في معاملة أفضل بما فيها إشراكه في تناول الوجبات الغذائية معهم و سخاء اليد و المساهمة في تعويض جمله إذ ذهب ضحية أفات الطرق الوعرة لأنه مصدر معاشه ، و المكتري يضيق من هذه المطالب أو يحاول أن يحمل الجمل فوق طاقته؛ فإعتبر بعض الرحالين نقص الإلتزام من قبل المكارين ضعفا في الدين و طعنا في المروءة[2]، و في هذا الصدد يقول العياشي:« وأكترينا من عند أوناس من عرب الحجاز ليس لهم دين و لا مروءه ، كلما عقدنا معهم عقد أحلوه، أو أبرموا أمر نقضوه طلبا للزيادة في الكراء إلا بعد شد الأحمال على جمال»[3] و مثل هذا التعامل جعلهم يحسنون إليهم إجتنابا لأي عرقلة أثناء السفر، و هذا ما ذهب إليه أبو بومدين الدرعي علي حيث قال:« فليطعمه مما يأكل ولا يفضل نفسه عليه في المأكل و الشرب، بل

[1]- أبو سالم العياشي، المصدر السابق ، مج2، ص: 136.

[2]- محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص:156.

[3]- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، مج2، ص: 383.

يأكل معه بيده و لا يتركه مع الخدمة فإن ذلك أصل الشر بين الجمالين و الحجاج و منه تتركب العداوة و البغضاء المفضية إلى تمزيق الأعراض[1]»، أما الزياني فقد تحدث عن قساوة العمل الذي كان يقوم به الجمالون من فلاحي مصر فقال:« فبالليل يسيرون و بالنهار يعملون في البيع والشراء و السقي و الطبخ و علف الإبل إقتابها و مداوات جراحاتها ، فلا يكادون ينامون حتى القليل»[2].

و هكذا يمكن القول أنه رغم ما تعرض له الحجيج من صعوبات و مشقات في التنقل، إلا أنها لم تحل بينهم و بين أدائهم للمناسك الحج.

1-3- تحديد الطرق و المسلك:

كان لتحديد الطرق و المسالك أهمية كبيرة من أجل معرفة سهولة ووعورة تلك الطرق، و كان الرحالون يعتمدون في ذلك على دليل[3] يكون غونا لهم في الرحلة، و كثيرا ما تختص كل منطقة بدليلها الذي يعرف سهولة أو عورة طرقها و مواقع أبارها، فحضوره ضروري في بعض المناطق[4].

كما كان للإهتمام بالمراحل و المنازل و التعريف بها، دور في نشر المعرفة الجغرافية في فروعها الطبيعية و البشرية و الإقتصادية في كتابة الرحالين الذين إمتازوا بمعرفة الطرق معرفة شاملة بما تشمل عليه من ظواهر طبيعية و إجتماعية و إرتباطات سياسية ، فدونوا مراحلها تدوينا مستقلا أحيانا و جعلوه جزءا من الرحلة غير منفصل عنها، وإجتهدوا حسب إستطاعتهم على ربطها بالمعطيات الجغرافية و الإجتماعية و صياغتها صياغة أدبية حسب الإمكان، وذهبوا أحيانا إلى

[1]- أبو مدين الدرعي، الرحلة الناظرية، ج1، تح: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر و التوزيع، الإمارات،ط1، 2011، ص:35.

[2]- أبو القاسم الزياني الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ، تح: عبد الكريم الفيلالي ، دار المعرفة للنشر و التوزيع ، الرباط، ط2، 1991، ص: 213.

[3]- **دليل**: معتمد المسافرين و ربان قافلتهم في المسالك التي يخترقونها ، و من مستلزمات مهمته، إختيار أسهل الطرق و أخصبها و أوفرها ماءا و أيقنها أمنا و سط هذه الصحاري و البوادي ، ينظر: محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص: 157.

[4]- محمد ماكامان ، المرجع نفسه، ص:157.

سبكها في منظومة مشتملة على جميع المعلومات المفيدة للمسافر ، فكانت بمثابة دليل له في رحلته، حيث قام هؤلاء الرحالين بتسخير الجغرافيا في خدمة الدراسات الإنسانية و الأدبية بعدما صهروها في بوثيقة الرحلة، فحولوا الخرائط إلى محفوظات أدبية في سهولة و يسر[1].

و من الرحالين الذين وصفوا عدد المراحل و المنازل في رحلاتهم محمد بن مليح المراكشي[2] الذي عدد المراحل من مراكش إلى مدينة المشرفة و ذلك في العهد السعدي حيث ذكر أن :« من مراكش إلى مزعطية إحدى عشر مرحلة، من أول درعة إلى منتهاه عشر مراحل، منه لتبلبالت عشر مراحل، من تبلبالت لتوات ثلاث عشرة مرحلة في القرى توات من أولها إلى أخرها خمس مراحل ، من أخر توات لبلاد فزان ثلاث وخمسون مرحلة في معمور فزان ثلاث عشرة مرحلة ، من فزان لوجلة سبع عشرة مرحلة ، من وجلة لسيوة أربع عشرة مرحلة، من سيوة لبحر النيل ست عشرة مرحلة ، من مصر لمكة خمس و ثلاثون مرحلة و منها للمدينة المشرفة إحدى عشرة مرحلة ، الجملة مائتا مرحلة وثمان مراحل»[3]

كما نجد الورتيلاني يذكر منازل رحلته التي إنطلقت من بني حافظ ثم إلى بني يعلى، وزمورة، وقصر الطير، و بسكرة ثم في إتجاه تونس، ثم تتحرك بموازت البحر إلى طرابلس[4] ثم مصر ثم تمر الرحلة بسناء إلى أن تقترب من أرض التيه في إتجاه العقبة و تدخل في بلاد الحجاز ثم تلف اتجاه مكة المكرمة[5].

---

[1]- محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص-ص : 139-141.

[2]- **ابن المليح المراكشي**: يسمى أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد القيسي الشهير بالسراج الملقب بإبن مليح، من أهل مراكش و يظهر من نسبته القيسية أنه كان عربي ثم ان أسلوبه المنمق و ما يورده من الاحاديث النبوية و الأبيات الشعرية و إطلاعه على الكثير من الاخبار و تراجم الرجال كل ذلك يدل على أنه كانت له ثقافة إسلامية لابأس بها و كان من رجال الصوفية . ينظر:إبن مليح السراج المراكشي، أنس الساري و السارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال و المآرب ، تح: محمد الفاسي ، وزارة الدولة المكلفة بشؤون الثقافة و التعليم الأصلي ، المغرب ، 1968، تق: ب.

[3]- إبن مليح السراج المراكشي، المصدر نفسه، ص:142.

[4]- الحسين الورتيلاني ، المصدر السابق، مج1، ص ص : 188-189-193-213.

[5]- المصدر نفسه، مج2، ص- ص: 82-161-259.

و لا تخلو هذه المراحل من وصف جغرافي لطبيعتها و معطياتها الإقتصادية و إنتاجها الفلاحي و حالة سكانها و ماهم عليه من مستوى حضاري أو تخلف أو فقر؛ و بهذا المنهج ربطوا الطرق بكثير من المعارف و لم يحصروها في أن تكون دليلا للمسافر فقط[1].

وهكذا كان لتحديد الطرق و المسالك فائدة كبيرة بالنسبة للحجاج من خلال تعرفهم على أنسب الطرق الملائمة لرحلاتهم حتى يتوجهون من خلالها إلى البقاع المقدسة إقتصاد للوقت و تفاديا للمشاكل التي تعرقل رحلتهم كقطاع الطرق و مشكل الماء.

2- المشاكل التي تواجه الحاج:

2-1- مشكل الأمن:

يعتبر مشكل الأمن من الصعوبات التي كانت توجهها القوافل سواءا كانت هذه المسالك بحرية أو برية فكثيرا ما كانت تتعرض لهجمات من قبل جماعة من اللصوص و قطاع الطرق ، و لهذا أدرك الفقهاء أهمية تأمين الطريق وربطوها بفريضة احج، فأبدى الإمام أبو حامد الغزالي رأيه في هذه المسالك في كتابه " إحياء علوم الدين" فقال :« و معلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة[2] تحرس من العرب في الطريق، لكن الحج شيء، و سلوك الحج شيء ثاني، و القيام بالحراسة التي لا تتم إلا بها شيء ثالث و معرفة ظروف الحراسة و حيلها و قوانينها شيء رابع»[3].

و من المآسي التي حدثت في الطرق البحرية و تناقلها الرحالون الناجون و دونها مؤرخون أسر مائة حاج مغربي (1035هـ/1625م) وتم إطلاق سراحهم بالفداء، و تجددت هذه الفاجعة سنة (1168هـ/1754م) حيث غرق أربع مائة حاج بعدما أقلعت بهم السفينة من الإسكندرية بإتجاه

[1]- محمد ماكامان، المرجع السابق، ص:143.

[2]- **بذرقة**: لفظة أعجمية معناها الخفارة، ينظر: محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص:148.

[3]- أبو حامد الغزالي ، المصدر السابق، ص:148.

تونس و المغرب[1] بالإضافة إلى الطرق البرية فهي أيضا كانت محفوفة بالمخاطر و الإبتزاز ، حيث كان يتعرض الحجاج إلى غارات الأعراب فيستعدون بالقتال تارة أو يفكرون في تغيير الطريق أو في المشي ليلا تارة أخرى[2]، و كانت السرقة تقع على صعيد الأفراد القلائل أو الجماعات،و كان كل من الركب المصري و الشامي مضطرين إلى دفع إتاوة سنوية للقبائل التي على طريق الحاج إتقاءا لشرها أو رغبة في طلب خفرها[3]و هذه الظاهرة مرتبطة بالحالة السياسية للبلاد و مدى نفوذ الحكام و عدلهم ، و لا يمكن أن تعزى إلى الفقر وحده أو الحياة الهامشية التي يتخبط فيها هؤلاء المحتاجون ، فكانت أعمالهم العدوانية مأساة للمسافرين عامة حيث يسقط الضحايا و يقع السلب، و في بعض إعتداءاتهم يتصدى لهم الحجاج المغاربة أبطالا ذوي نجدة ، مطاردين لصوص البراري و أحيانا أخرى يقفون خائفين متوسلين بالأدعية على مختلف المستويات طلبا للنجدة و السلامة ،وتكررت هذه الغارات خلال موسم الحج و الحكام الأتراك عاجزون عن وضع حد لها، و الحجاج يرفعون أكفهم بالأدعية و صب دعواته على المعتدين[4].

كما أشار الورثيلاني في رحلته إلى اللصوص و قطاع الطرق الذين كانوا يعترضون الحجاج و الإعتداءات التي واجهتهم و من ذلك الهجوم المسلح من أحد العصابات بمنطقة نبزاوة بواد ريغ خارج ولاية تونس: « قد داروا بنا كالحلقة و كثر الرصاص بأن ينزل علينا كالمطر و مع ذلك و الحمد لله أن من وقعت فيه رصاصة نزلت كالطين بحيث لم تضر أحدا إلا الكاتب الذي يمر على الخط أتت بندقة ووقعت فيه تحت السرة بأن دخلت في الجلد ، مقدرا أنملتين فرجعت بإذن الله غير أنه مكث أياما ،فتضرر من ذلك ثم غفي و الحمد لله ، أما هم فقاد مات منهم و الله أعلم إثنان أحدهما أصيب برأسه...[5]».

[1]- محمد ماكامان، المرجع السابق، ص: 148.

[2]- مولاي بالحميسي ، المرجع السابق ، ص: 25.

[3]- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، مج1، ص:308.

[4]- محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص:150.

[5]- الحسين الورثلاني، المصدر السابق، مج1،ص:154.

وأشار أيضا إلى حالة الخطف التي شهدها في توزر و قابس فقال: «...و توزر و القابي محل الخطف ،بل توزر أعظم فكل من غفل عن حاجة في يده إلا و خطفوها فإياك والغفلة فيهما...»[1]، حتى أصبح المسافر لا يخطو خطوة دون أن تحدثه نفسه عن ملاقاة الأخطار من قبل البدو، و كان جنود الأتراك عاجزين عن إخضاعهم حيث لمسوا فيه خطورة الإقدام و عدم الإنضباط لغير شيوخهم فعمد الولاة لإرضاء هؤلاء الشيوخ و منحهم إتاوة المرور مقابل تأمين الطريق، و لطالما تعرض لصوص البدو لذم الرحالين و لعنات الفقهاء ، فحررت في حقهم الفتاوى المتأرجحة بين الصلب و قطع الاعضاء[2].

و على الرغم من كثرة مخاطر الطريق و التي كانت تعج باللصوص و قطاع الطرق، إلا أن الحجاج حاولوا تفاديها إما بدفع الخفارة أو تغيير الطريق و غيرها حتى يتمكنوا من الوصول إلى البقاع المقدسة.

2-2- مشكل الماء في الرحلة:

لا تنتهي هموم الحجاج خلال رحلتهم الطويلة ، فبعد أن قدموا وصفا بحالة الطرق، وجعلوها صورا جاهزة لإنعدام الأمن في كل رحلة فإن تعبيرهم عن مخاوفهم من نقص الماء قد إحتل بؤرة شعورهم لأنه مدار حياتهم و حياة دوابهم أثناء هذه السفرة ،و في ذلك قوله تعالى :﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾[3].

و قد دفعت ظاهرة نقص الماء المغاربة إلى إهتمام بالآبار و العيون و الأنهار، و تركت أثارها في كتاباتهم المختلفة بين تعابير الحزن و الحذر في حالة الشدة و الضيق ، من ذلك وصف أبو سالم العياشي لهذه الظاهرة في منطقة التيه« فلم نصل إلى أرض التية حتى إشتد الحر و قل الماء.....

[1]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص:268.

[2]- محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص-ص : 151-154.

[3]- سورة الأنبياء : الآية: 30.

ومات الإبل ، و جعل الناس يعصرون ما في بطونهم الإبل من الفرث و يشربونه»[1]،و هذا ما عبر عنه في الأبيات التالية:[2]

وَ لمْ أَنَسْ بِالتِّيْهِ يوماً بـِهِ تَفَانَى الحَجِيجُ صَدى وَ وَّلُوهـَا

وَ إنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ عَجْرُودْ كَالمهْلِ يَشْوِيْ الوُجُوهَـا

وفي نفس السياق نجد الورثيلاني هو الآخر يشير إلى الحر الشديد و ندرة الماء في هذه المنطقة بقوله:«... فدخلنا التيه الذي تاه فيه بنو إسرائيل... ما أوحشه من موقع، و أصعبه من محمل، لكثرة حره، و شدة أمره، مع إنعدام الماء فيه، وقد كثر فيه الهلاك من العطش زمان الحر، فلا تجد من يسخى بالماء إلا من قوي يقينه، وغلب عليه الرقة و الشفقة و الرحمة و الخوف من الله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾[3]، من ثوران الحر في ذلك الموضع، إلا أن رحمه الله واسعة و رأفته قوية، و نعمته بالحجيج شاملة خصوصا أهل معرفة بالله تعالى...»[4]

كما نجد إبن مليح أيضا يتحدث في كتابه " أنس الساري و السارب" عن معاناة الركب الذي كان فيه لافتقادهم الماء ببلاد السيوة إلا أنهم ما فتؤا أن نزل الفرج عليهم، و يظر ذلك في قوله:«... دخلنا أرضا سبخا يقال لها بحر ثمود، تغوس فيها أخفاف الإبل كثيرة المياه المرة ، كماء البحر نفسه تاه فيها الدليل وظل عن مورد يقال له أبو الغراتك، كان قصد إليه ولم يبق للناس ماء، واشتد العطش و حمى الوطيس، و هبت ريح حارة فبقي من الركب ثلاث عشر رجلا و هلكت كلها ، ولم يدر الناس أين يذهبون، و أيقن الناس بالموت فحط الركب مكانه عشية النهار، فركب من أهل فزان و وجلة خمسة نفر مع الدليل و انطلقوا في البرية يطلبون الماء و تبعهم نحو مائة راحلة

[1] أبو سالم العياشي ، المصدر السابق، مج1، ص:162.

[2] -المصدر نفسه،مج1، ص:162.

[3] - سورة الحاقة، الآية: 7-8.

[4] - الحسين الورثيلاني، المصدر السابق، مج1، ص:70.

بقربها، فتهاوا في الأرض إلى ثلث الليل، فألفوا أثر آبار تعرف بالشكة، فحفروها وجهروها جدا واخرجوا ماءها، وبات أهل المحلة في كرب عظيم و هم شديد، يسبحون الله تعالى ويعظمونه ويهللونه ويجاهرون بالدعاء و الإبتهال لله تعالى فما أصبح حتى جاء الفرج من المولى الكريم، وانكشف الكرب، و الحمد لله رب العالمين»[1].

وهكذا يتبين لنا أن ندرة الماء في الطرق التي كان يسلكها الحجاج من أهم المسائل التي كانت تشغل بالهم خوفا من الهلاك ، ولكن بصبرهم و قوة إيمانهم إستطاعوا تجاوز هذا المشكل.

2-3- الجانب الصحي في الرحلة:

تعددت آلام الحجاج و شكاويهم طوال غيبتهم ، فمن قسوة الطبيعة و غارات الأعراب إلى مشكل الماء و مكر الجمالين، إلى أخطر عارض فتاك بحياة العديد منهم و هو وباء الطاعون، هذا الداء الذي عجز الطب في ذلك العصر التغلب عليه.

و قد إهتم بخطورته كل من المؤرخين و الرحالين و تناقلوا أخباره في مؤلفاتهم وحولياتهم وكان الرحالون أشد الناس إحساسا بهذه الحالات، إذا كان الحجاج يصطدمون عند الوصول إلى مكان عامر باستنكار أهله خوفا من الوباء[2]، حتى أن الولاة قد يمنعونهم من الدخول إلى ترابهم إحتراسا من نشر العدوة التي ينقولونها معهم بسبب إرتحالهم وإختلاطهم بمختلف الأجناس[3].

و قد أفاض العياشي في الحديث عنه و أبدى تخوفه منه و أحصى ضحاياه بالقاهرة،و بين موقف الباشا و ذوي الرأي منه حيث ذكر:" أن الوباء قد وقع مرة بمصر و كثر الموت، حتى كان يدفن في اليوم الواحد أربعون ألفا، فهم الباشا و أتباعه بالخروج من مصر و الفرار لما شاهد من كثرة الموت، فلما فشا خبر إرادته الخروج طلع إليه رجل مسن من أهل التجربة و الرأي فقال له: "بلغني

[1]- ابن مليح السراج، المصدر السابق، ص ص : 37،38.

[2]- مولاي بالحميسي ، المرجع السابق، ص:26.

[3]- محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص:159.

أنك تريد الخروج فما الذي يخرجك؟ فقال: هذا الموت الذريع الذي وقع في الناس، فقال: وأي موت هنا؟ بعث شيوخ الحومات فوجدوها أربعين ألفا، فقال له ذلك الشيخ: ألم أقل لك أي موت هنا؟ إنما هذا ميت من كل حومة، فهو اما عبد أو صبي أو إمرأة، فلما سمع الباشا ذلك خف عليه الأمر فجلس"[1].

و اهتم أبو سالم العياشي أيضا بتتبع إنتشار هذا الداء في عدة مناطق في طريق الحاج و أخبر به ما إجتاح بسكرة، و وصف حالة سكان البلاد وعزمهم على مغادرتها غير أن ترددهم عن الفرار جعلهم يستفسرون الفقهاء عن جواز الهروب قبل أن يعم أرضهم، فلم يجد العياشي نصا في إصدار فتواه في الموضوع فأجاب بجوابين مختلفين، الأول جواز الفرار في ماله إعدام القيام بشؤون المرضى والثاني عدم جوازه إذا كان مبنيا على الشك في قدرة الله وقضائه وعدم الثقة، وقد أصدر فتواه معتمدا على الأحاديث النبوية، لكن هذه الفتوى لم تقنع السكان فصمموا على الرحيل خوفا من الموت[2].

و قد شهد العياشي في طريق عودته من حجته الأخيرة رحيلهم و هم في حالة مزرية من الجوع فقال:" ومرادهم إذا توسطهم الركب وثبوا عليه رجالا و نساءا و صبيانا. و أخبرنا أهل البلد أنهم في غاية ما يكونون من الجوع و قالو لنا لا طاقة لكم بهم، و لو قاتلتموهم و قتلتم ما عسى أن تقتلون، فإن ذلك لا يردعهم لشدة جوعهم، و أشاروا علينا بتنكبهم وترك الطريق التي هم عليها"[3].

[1]- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، مج1، ص:225.

[2]- المصدر نفسه، مج2، ص:539.

[3]- المصدر نفسه،ص:544.

و امتد هذا الطاعون إلى أهل الأغواط و اجتاحت قراهم، و اتخذوا الوقاية اللازمة لاجتناب انتشار العدوى في وسطهم و ذلك باللجوء إلى الإجراءات التالية[1]:

- منع السعاة من الدخول البلد.
- منع الركب الحجاج من دخول أيضا.
- إجراء المعاملات التجارية خلف الأسوار بواسطة القفة التي تدلى بالحبال لحمل البضاعة.
- غسل عملة الحجاج التي يأخذونها من القفة.

ومما سبق ذكره نلمس أن رحلة الحجاج إلى البقاع المقدسة كانت حافلة بالمخاطر والصعاب، كتعرضهم في الطريق إلى اللصوص الذين كانوا يتربصون بهم طوال رحلتهم، إضافة إلى ذلك قساوة الطبيعة خاصة في فصل الصيف، حيث واجهوا مشكل ندرة المياه والذي شكل لهم عائق كبير أثناء رحلتهم إلى جانب مشكلة إنتشار الوباء و الطاعون الفتاك، الذي كان من المخاطر التي شغلت تفكير الحجاج و كيفية تجنبه لشدة خطورته، إذ كان من الأسباب التي أدت بسكان المدن التي كانوا ينزلون بها إلى عدم إستقبالهم، و عدم تقديم العون لهم خوفا من هذا الوباء، فهو يؤدي في كثير من الأحيان إلى الموت.

[1]- محمد ماكامان ، المرجع السابق، ص:160.

الفصل الثاني

العياشي وكتابه ماء الموائد

المبحث الأول: حياة أبي سالم العياشي

المبحث الثاني: أحوال الأقطار العربية من خلال رحلة العياشي

المبحث الثالث: بلاد الحجاز من خلال رحلة العياشي

المبحث الأول : الحياة أبي سالم العياشي

1- نسبه ومولده :

عرف المغرب الاقصى العديد من العلماء والرحالة كان لهم أثر بارز في الحقبة التاريخية الحديثة منهم :

أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف بن عبد الله العياشي[1]،نسبة إلى آيت عياش قبيلة من البربر تتاخم أحراز سجلماسة [2]، التي ولد بها في أواخر شهر شعبان سنة (1037هـ/1628م)[3] يلقب بالعفيف الدين المالكي، ويتصل نسبه بالشرفاء الأدراسة[4].

و أول من قدم إلى المنطقة من أجداده هو جدهم الاعلى عبد الله بن عبد الرحمن، وموطنهم الاصلي هو قصر ولتدغير بفجيج، وقد استقر أول الامر في الغزلان ثم ارتحل إلى جبل درن حيث تزوج بخنق ملوان وخلف ولده يوسف، وانتقل هذا الاخير إلى قصر آيت يعقوب القديم[5] فتزوج من آيت معروف، واشتغل في وظائف دينية كالامامة والاذان وتعليم الصبيان وغير ذلك ثم انتقل أحفاده بعد ذلك إلى تزرفت[6] وارتبط يوسف – الجد الثاني لأبي سالم- بعلاقات مصاهرة مع آيت عياش فجرى عليهم هذا الاسم، ونسبوا إليهم[7]، فاشتهرت الاسرة بهذه المنطقة بالعلم و التصوف والتدريس، والاصلاح الديني وظهر منها العديد من العلماء والفقهاء من أبرزهم والد المترجم له محمد

---

[1] -أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر،ص: 28.

[2] -عبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، تيطوان، ط1، 1999، ص:651.

[3] -ليفيي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، تع: عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار الغرب، التأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1977، ص: 185.

[4] - أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر،ص: 28.

[5] **-قصر آيت يعقوب القديم** : يقع هذا القصر في المنطقة الجنوبية الغربية للزاوية. ينظر: أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر، ص: 28.

[6] **-تزرقت** : جمعت بين قبائل شتى، بعضها من آيت عياش والملاحظ أن هذا الامتزاج القبلي يستجيب لمتطلبات العيش المشترك كما فرضته طبيعة المنطقة، الشيء الذي دعا إلى خلق مجتمع اجتمعت فيه العصبيات. ينظر: أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر، ص: 28.

[7] -أبو سالم العياشي، إقتفاء الاثر، ص:28.

بن أبي بكر العياشي وهو أبرز شخصية في هذه العائلة، ولد سنة (981هـ/1573م). عمق معارفه في الفقه والاصول خاصة التصوف[1]، وقد تتلمذ على يد أبرز شيوخ وقته ومن أجلهم الشيخ أحمد أذفال الدرعي[2] قام بتأسيس الزاوية العياشية[3] عام (1044هـ/1635م)بإشارة من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي (ت:1051هـ/1641م)و كانت هذه الزاوية على الطريقة الشاذلية[4] التي كانت من أكثر الطرق إنتشارا في المغرب، حتى اعتبرت طريقة رسمية لكثرة اتباعها [5].

و كان أبو سالم العياشي قطبا من أقطاب التصوف في المغرب في وقته، ولعل هذا التميز راجع إلى عدة عوامل أهمها : كثرة شيوخ التصوف الذين جالسهم، والكم الهائل من الكتب الصوفية التي طالعها [6].

فحظيت شخصيته بتقدير كبير من معاصريه أو ممن جاء بعده فحلوه بأحسن الأوصاف، وكريم الاخلاق ومن ذلك وصف الاقراني له في كتابه "صفوة من انتشر" بأنه : « أحد من أحيا الله

[1] -أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، تح: محمد الزاهي، دار الغرب الاسلامي، لبنان ،ط1، 1999، ص:12.

[2] -**أحمد اذفال الدرعي(ت:1023هـ/1609م)**: من كبار المحدثين والفقهاء ومن أجلة الصوفية، جال في بلاد المغرب للأخذ عن علمائها حتى استفرغ ما عندهم ورحل للحرمين الشريفين، وأخذ عن علمائها وأجازوه في الحديث وغيره وأخذ طريقه عنهم وعن أهل مصر وأجازوه في المصافحة وغير ذلك. ينظر: محمد الحضيكي ،طبقات الحضيكي، ج1، تح: أحمد بومزكر، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط1، 2006، ص:43.

[3] - **الزاوية العياشية** : تسمى اليوم سيدي حمزة، وتقع في سفح جبل العياشي، على ضفة أحد روافد وادي زيز بعيدة عن ميدلت بنحو 60 كلم جنوبا. ينظر : محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة الجديدة، الرباط، ط2، 1988، ص: 68.

[4] - **الطريقة الشاذلية** : ظهرت بالمغرب ومنه انتقلت إلى مصر، ومن مصر إلى أقطار إسلامية عدة، وهي منسوبة إلى أبي الحسن الشاذلي وهو صوفي بارز سني الإتجاه وأصله من شاذلة بتونس. ينظر: أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف الاسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1979، ص:239.

[5] - محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص:50.

[6] - أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، ص:36.

بهم طريقة الرواية بعد أن كانت شمسها على أطراف النخيل، وجدد من فنون الأثر كل رسم محيل »[1] وقال عنه محمد القادري في كتابه : " نشر المثاني " : «العلامة الكبير، المحقق التحرير، الفاضل المشارك، في أنواع العلوم والمدارك، الرحالة الجوال، الفصيح القوال »[2].

أما محمد بن أحمد الحضيكي فقد ذكره في كتابه بأنه : « الشيخ الامام القدوة، الرحالة الحافظ الباهر، الحجة العالم العلامة العامل، الولي الصالح الناصح العابد الناسك الصوفي »[3].

1-تعليمه ومشايخه :

اهتم أبو سالم العياشي منذ صباه بتعميق ثقافته، من خلال لقاء الشيوخ والعلماء الأجلاء، فمن أهم شيوخه المغاربة الذين أخذ عنهم والده محمد بن أبي بكر العياشي وهو من أول مشايخه في التربية والتعليم، وقد خصه بالتقديم والفضل في فهرسه قائلا :« رباني فأحسن تربيتي وغذاني بنفائس علومه فأحسن تغذيتي»[4].

بالاضافة إلى الشيخ عبد القادر الفاسي[5]، الذي أخذ عنه علوما جمة في سائر الفنون، كالفقه والحديث والتفسير والنحو والبيان والتصوف[6]، كما استمع إلى الشيخ أبي العباس أحمد الابار[1] في

---

[1]- الافراني، صفوة من انتشر من أخبار ص:لحاء القرن الحادي عشر، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، ط1، 2004، ص: 325.

[2]- محمد القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر، ج2، تح: أحمد حجي وأحمد توفيق، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1996، ص: 1622.

[3]- محمد الحضيكي، المصدر السابق، ص: 396.

[4]-أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ،ص:103.

[5]- **عبد القادر بن علي الفاسي(ت: 1091هـ/1680م)**: بدأ حياته التعليمية بمسقط رأسه –القصر الكبير – ثم انتقل إلى فاس فسكن المدرسة المصباحية، وحصل على العلوم في أيسر مدة وتصدى للتدريس واشتهر أمره وانتشر صيته، وتنافس فيه الطلبة وتفقه به خلق كبير، وتخرج عليه جماعات من الفقهاء . ينظر: محمد الحضيكي ،المصدر السابق، ص:506؛ خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس جغرافي لأشهر الرجال والنساء من العرب المتعربين المستشرقين، ج4، دار العلم للملايين، لبنان، ط5، 2002 ص:41.

[6] -أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ،ص:110.

دروس" مختصر الخليل "في الفقه المالكي، وقد أكد أبو سالم على علو سند هذا الشيخ ومشاركته للشيخ عبد القادر الفاسي في كثير من شيوخه[2].

بالإضافة إلى الشيخ محمد بن أحمد ميارة (ت: 1072هـ/1661م) و هو يشارك الشيخين المتقدمين في أسانيدهما، حضر أبو سالم دروسه، و سمع من لفظه شرحه الصغير على "المرشد المعين" بأكمله و من شيوخه الذين استفاد منهم أيضا الشيخ أبي بكر السكتاني المراكشي، الذي أجازه[3] في العلمين الظاهر والباطن وحضر مجالس الشيخ محمد بن ناصر الدرعي عدة مرات، في عدة علوم وخاصة علوم الفقه واللغة والتفسير .

و لما استوعب أبو سالم الواقع العلمي والصوفي والادبي في المغرب توجه إلى المشرق ثلاث مرات، الاولى سنة(1059هـ/1649م) وهو ما يزال في عنفوان شبابه لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، والثانية سنة (1064هـ/1653م) وهو في سن السابعة والعشرين من عمره، والثالثة سنة (1072هـ/1661م) وهو في سن الخامسة والثلاثين من عمره[4]، فأخذ عن الكثير من المشايخ منهم بمصر، ومكة والمدينة المشرفتين .

---

[1] -**أبي العباس أحمد الأبار (ت: 1071هـ/1660م)** :من أسرة أندلسية شيخ الجماعة بفاس وخطيب جامع الاندلس اشتغل في بداية حياته في التجارة، ثم تثقف بالعلم ثم انصرف إلى الدرس والتحصيل، حتى صار اماما في كثير من العلوم، خصوصا النحو والفقه، وكان أكثر ما يقرأ مختصر الشيخ الخليل وألفية ابن مالك . ينظر :محمد حجي الزاوية الدلائية، ص: 101 . محمد حجي الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ،ج2،منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، (د.ط)، 1978، ص: 503؛ ليفي بروفنصال، المرجع السابق، ص: 86،القادري، المصدر السابق، ج2، ص: 1490.

[2] -أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ،ص: 36.

[3] -**الإجازة** : رخصة تتضمن المادة العلمية الصادرة من أجلها، يمنحها له الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه وتكون الإجازة بهذا المعنى طريقة من طرق نقل الحديث وتحمله من الشيخ إلى من أباح له نقل الحديث عنه، ويمنح الشيخ الإجازة لطالبها بطريقتها: أحدهما الإجازة بالمشافهة والثانية الإجازة التحريرية . ينظر: عبد الله فياض، الاجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الارشاد، العراق، ط1، 1997،ص: 21.

[4] -عبد القادر زمامة، مع أبو سالم العياشي في رحلته إلى المشرق، ضمن مجلة: المناهل، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، المغرب، ع: 27 ،1983،ص:198.

ففي مصر أول من أخذ عنه الشيخ زين العابدين أبو الحسن علي الاجهوري[1] الذي سمع عليه، بمنزلة بعض كتب الحديث "ثلاثيات البخاري" [2]، والشيخ ابراهيم الميموني المصري[3] الذي حضر مجالسه طوال مدة اقامته في مصر مرة أو مرتين في اليوم، وقد أبدى أبو سالم اعجابه بطريقته في التدريس[4].

و من أشهر شيوخه المصريين كذلك وأبعدهم صيتا الشيخ شهاب الدين أحمد الخفاجي أفندي (ت: 1069هـ/1659م)الذي سمع عله عدد من المؤلفات والاحاديث المسلسلة [5]. أما بالحرمين الشريفين فقد أغنى أبو سالم تطلعاته في علم الحديث وروايته، حيث التقى بعدد وافر من ذوي الاهتمام العلمي، فمن بين الشيوخ الذين التقى بهم في مكة المكرمة الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي المصري[6] نزيل مكة المشرفة، قرأ عليه من أول "صحيح البخاري" إلى" كتاب الايمان" وغيرها [7]، والشيخ تاج الدين المكي الانصاري(1070هـ/1659م)الذي لقيه بمنزله بمكة، وقرأ عليه بعض

---

[1] -**أبو الحسن علي الأجهوري (ت: 1066هـ/1655م)**:شيخ المالكية بمصر في عصره، وأحد أعلام التدريس والإفتاء كانت الفتاوى تبعث له من المغرب الأقصى، من أشهر تأليفه ثلاثة شروح على مختصر خليل. ينظر : محمد المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،ج3 ، دار الكتاب الإسلامي، مصر، (د ط)، (د ت)، ص-ص:157-260؛ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1،دار الكتب العلمية، لبنان،ط1، 2003، ص ص:439-440؛ لافراني، صفوة من انتشر، ص ص:230،229.

[2] -**ثلاثيات البخاري:** يراد به ما اتصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديث بثلاث رواة وتنحصر الثلاثيات في صحيح البخاري في إثنين وعشرين حديثا وعليه شرح لطيف لمحمد شاه ابن حاج حسن المتوفي سنة (939هـ/1532م). ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج1، دار احياء التراث العربي، لبنان ،(د ط)، (د ت)، ص:522.

[3] -**إبراهيم الميموني المصري(ت: 1079هـ/ 1665م)**: نسبه إلى منية ميمون قرية بمصر عارف بالتفسير والحديث، من شيوخ التدريس وأعلام التأليف ومن أشهر مؤلفاته " تهنئة الاسلام ببناء بيت الله الحرام". ينظر : الافراني، صفوة من انتشر، ص-ص:259-262؛ محمد الحضيكي، المصدر السابق ،ص:-ص:135-137؛ خير الدين الزركي: الأعلام، ج1، ص:67.

[4] -أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ،ص:38.

[5] -المصدر نفسه ،ص:126.

[6] -**محمد بن علاء الدين البابلي (ت: 1076 هـ/1666م)**:نسبه إلى بابل احدى القرى المصرية، أحد الأعلام في الفقه والحديث وهو أحفظ أهل عصره لمتون الأحديث حج عدة مرات جاور بمكة عشر سنين واشتغل خلالها بالتدريس .ينظر : المحبي، المصدر السابق، ج4، ص:39 ؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص:152.

[7] -أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ،ص:135.

البخاري بالاضافة إلى الشيخ زين العابدين الحسيني الطبري الذي سمع من لفظه بعض البخاري ومسلم وغيرها .

و بالمدينة المشرفة التقى بالشيخ ابراهيم بن عبد الرحمن الخياري الشافعي[1] قرأ عليه في منزله من أوائل "الصحيحين" وبعض "الشمائل" وبعض "الاربعين النووية"[2].

أغلب هؤلاء الشيوخ الذين سبق ذكرهم كان أبو سالم العياشي قد تحصل منهم على إجازات في جميع مروياتهم عن أشياخهم .

1-تدريسه وتلامذته:

تصدى أبو سالم للتدريس والخطابة بجامع زواية آيت عياش[3]، فكان يسير على نهج والده في الاتصال بالدلائيين وتعظيمهم، فكان له معهم مساجلات أدبية وشعرية ونثرية، ومراسلات علمية أهمها الاسئلة التي وجهها لمفتي الزاوية البكرية الطيب بن المسناوي الدلائي فتلقى عنها أجوبة إضافية[4].

كما أنه شديد العناية بمجالس الدرس في زاويته فأثناء غيابه كان يوجه النصائح إلى إبناء أخته، ويحثهم على تعمير المسجد وخدمة الطلبة، ومواصلة النشاط التعليمي والحضور الدائم -حتى في غياب من يرغب في التعلم- لتثقيف أنفسهم والاجتهاد في المطالعة، وعدم التكلف في الأوراد

[1] -**إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري الشافعي(ت: 1083هـ/1672م)**:أصله من مصر وسكن المدينة وبها نشأ وتعلم الحديث والأدب والتاريخ وغيرها من العلوم، وسع معارفه من الرحلة التي قام بها في عدة بلدان بالمشرق فصنف رحلة سماها "تحفة الأدباء وسلوة الغرباء" ؛ ينظر : المحبي، المصدر السابق،ج1، ص:25،خير الدين الزركلي، الأعلام ،ج1، ص:46.

[2] -أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر ،ص:141.

[3] -محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص:509.

[4] -محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص:69.

والنوافل ،بل أن يجعلوا من التعلم والتعليم والمطالعة وردا؛ أما فيما يتعلق بمواد التدريس فقد درس في المدينة المنورة مختصر الخليل في الفقه المالكي، وكتبا أخرى لمنظومته في البيوع وبعض الحكم العطائية.[1]

و الملاحظ أن أبا سالم يقبل على كل أنواع العلوم والمعارف، ولكن مشاركته العلمية لم تتعدى العلوم النقلية والمواد التي كان له المام واسع بها حيث كان يقرأ القرطبية في الفقه المالكي، وبعض النحو والبلاغة أما باقي الفنون التي لم يكن على دراية بها كان لا يجرؤ على تدريسها[2]، ويظهر ذلك في قوله :«و مما أقرأته بالمدينة ايضا مقدمات الشيخ السنوسي ونقاية السيوطي، كلفني بعض أصحإبنا المحبين من أهل السودان قرأتها، وماكنت قرأتها قبل ولا أقرؤها، الا أنها لما كانت مبادئ العلوم قد قرأنا فيها ما تيسر...الا فنين منها لم أقرأهما ولم أقرئهما، وهما فن التشريح والطب، فقد امتنعت من أن أقرئهما حين الوصول إليهما، فألح علي فيهما وقال : " إني لم أقنع بما فهمت من كلام المصنف، فقلت : إن الله تعالى يقول :﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾[3]».[4]

و قد تتلمذا على يد أبو سالم العياشي العديد من الطلبة الذين حرصوا على الاستفادة بعلمه وهو بدوره أجاز بعضهم فكان من بين تلامذته إبناؤه وأقاربه منهم :حمزة بن أبي سالم [5]، وأحمد بن أبي سالم الذي كان يشاطر أخاه كل مسؤوليات الزاوية، واعتنى بشؤون المكتبة، ومحمد بن عبد الجبار العياشي (ت: 1090هـ/1679م).

---

[1]- أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر، ص:53.

[2]-المصدر نفسه، ص:53.

[3]-سورة الاسراء، الآية :36 .

[4]-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، مج1، ص:430.

[5]-**حمزة بن أبو سالم (ت: 1130هـ/1717م)**: أكبر أبناء أبو سالم، سهر على تكوينه وأجازه وقد ظهر ميوله العلمي في الدرس والمطالعة، ونال بدوره حظوة في الأوساط الثقافة المغربية والمشرقية، كما كانت له رحلة إلى الديار المقدسة (1100هـ/1688م) وجمع خلالها عدد من الإجازات منها إجازة الشيخ محمد الخرشي بإسمه وإسم أبنائه وأخيه وعمل الشيخ حمزة بدوره في توسيع مكتبة الزاوية فكان ينسخ بنفسه. ينظر: أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر،ص: ص:59،60؛محمد مخلوف، شجرة النور ،ص: ص:485،486.

و من تلامذته أيضا : عثمان بن علي اليوسي(ت: 1084هـ/1673م) الذي كان أخص تلامذته وأقربهم إلى الاسرة، وأحمد بن سعيد المجليدي[1]، ومحمد الصغير بن عبد الرحمن الفاسي (ت:1134هـ/1722)[2].

كما أجاز أبو سالم عددا من إبناء الزاوية الناصرية وأساتذتها ونذكر منهم : أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي [3]، وأبو الحسن بن محمد بن ناصر الدرعي، عبد الله بن محمد بن ناصر الدرعي [4].

1-آثاره ومؤلفاته :

عاش أبو سالم يؤثر ويتأثر في محيط علمي واسع، وقد تمكن من جمع مكتبة نموذجية استفاد منها عدد من المثقفين المغاربة في القرن 17م.

و إذا فحصنا نوعية الكتب التي إحتوتها هذه المكتبة نجد أغلبيتها في علوم الدين والفقه والأدب واللغة ولا تدخل مصنفات العلوم العقلية كالمنطق والطب والفلك الا بنصيب قليل وقد بذل إبناء الأسرة العياشية مجهودات متواصلة من أجل الجمع والصيانة، كما أنهم وظفوا طاقاتهم الفكرية والمادية من أجل هذه الغاية، بشكل فعلي سواء بالتأليف أو الانساخ أو بالشراء وغير ذلك[5]، وقد إحتوت هذه المكتبة على نصيب وافر من مؤلفات الشخصية لأبي سالم العياشي وهي كالتالي :

---

[1]-**أحمد بن سعيد المجليدي(ت:1094هـ/1683م)**: فقيه مالكي تولى القضاء بفاس من مؤلفاته، التيسير في أحكام التسعير، مختصر معيار الونشرسي، فهرسة شيوخه جمعته بأبو سالم صداقة، وعلاقة علمية وقد كتب بإسمه رحلته الصغرى وأجازه اجازة عامة بفهرسة "إقتفاء الأثر". ينظر: أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاء، ص:48؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين في تراجم مصنفي الكتب العربية، ج1،مؤسسة الرسالة، (د ط)، (د ت)، ص:146.

[2]-أبو سالم العياشي، إتحاف إتحاف الأخلاء، ص-ص:48-52.

[3]-**أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي التمكروتي(ت:1129هـ/ 1717م)**: له رحلة حجازية في مجلد لخص: جلها في رحلة شيخه العياشي، ذكر فيها من لقيه وأجازه بالمشرق، وهي مطبوعة بفاس. ينظر : عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس ،ص:677.

[4] -أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر، ص ص:63،62،61.

[5]- المصدر نفسه ،ص:64.

4-1كتب التوحيد :

الحكم بالعدل والانصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف[1] ،إظهار المنة على المبشرين بالجنة، تخميس البردة ويسمى كذلك الكواكب الدرية في مناقب أشرف البرية، قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم على بحور الخليل، وهالة البدر في نظم أسماء أهل بدر، المغريات في اصلاح الوتريات.[2]

4-2- كتب الفقه :

أجوبة الخليل عما استشكل من كلام خليل، رفع الحجر عن الإقداء بإمام الحجر، شرح المحلي،العلاوة فيمن ركع محل سجود التلاوة، القول المحكم في عقود الأصم الأبكم، معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب وهو نظم في 370 بيتا نظم في بيوع إبن جماعة التونسي، إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب وهو شرح لنظمه معونة المكتسب[3]، وألف أيضا في اللغة كراسة لو الشرطية وتسمى المباحث المرضية فيما يتعلق بلو الشرطية[4].

4-3 -كتب التصوف:

سوق العروس وأنس النفوس، نظم أصول الطريقة لأحمد الزروق، تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية [5].

---

[1]-عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي،ج1،المغرب، ط2، (دت)، ص:304.

[2]- المرجع نفسه، ص: 56.

[3]- أبو سالم العياشي، إتحاف إتحاف الأخلاء، ص ص:60-61.

[4]-أبو سالم العياشي ،إقتفاء الأثر ،ص:67.

[5]-محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على العهد الدولة العلوية(1664م/1894م)، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 1977، ص:91.

4-4-كتب الفهارس:

إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ويسمى مسالك الهداية إلى معالم الرواية أو العجالة الصوفية بأسانيد الفقهاء والمحدثين والصوفية ،إتحاف الاخلاء بأسايد المشايخ الاجلاء.[1]

4-5-قصائد ورسائل :

قصيدة أنشأها عند ختم قراءة الشمائل على الشيخ عبد القادر الفاسي ،قصيدة ثبتها من طرابلس لشيخه عبد القادر بن علي الفاسي ضمن كتاب تحفة الأكبار في مناقب الشيخ عبد القادر لعبد الرحمن بن عبد القادر، ورسالة وجهها أبو سالم إلى الشيخ العربي بردلة [2]و له زوبعة المشتاق ..... وهي رسالة يصف فيها آثار الأوبئة والمجاعة في المغرب(1072هـ/1661م).[3]

4-6-كتب الرحلات :

التعريف والايجاز ببعض ما تدعوا إليه الضرورة في طريق الحجاز وتسمى الطريق الصغرى وهي عبارة عن رسالة مطولة كتبها أبو سالم لصديقه أحمد بن سعيد المحليدي سنة (1068هـ/1657م)[4]و رحلته المسماة ماء الموائد وهي رحلة مفيدة [5]و تعرف أيضا بالرحلة العياشية إلى الديار النورانية وهي ثمرة ثلاث رحلات إلى المشرق جمع فيها الفوائد والشوارد . وقد دونها إثر رجوعه من الحجة الاخيرة أي سنة(1074هـ/1663م)، ولا تختلف هذه الرحلة في محتواها وأسلوبها عن الرحلات المغربية الأخرى فقد

---

[1]-**إتحاف إتحاف الأخلاء بأسانيد المشايخ الأجلاء** : ثاني فهرسة كتبه أبو سالم، جمع فيه نصوص الإجازات التي كتبت باسمه وإسم عدد من أبناء أسرته وأصدقائه المغاربة ذيل به رحلته الكبرى ماء الموائد ولم تطبع معها. ينظر : أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر، ص:69.

[2] - المصدر نفسه ،ص:69.

[3] -عبد الله المرابط الترغي، المرجع السابق، ص:652.

[4]-أبو سالم العياشي ،إقتفاء الأثر ،ص:68.

[5]-محمد الإفراني، صفوة من إنتشر، ص:326.

دون فيها المواضيع المألوفة كاستعداد ركب الحج ووصف مسالك المدن والمخاطر والوقائع وذكر الشيوخ والمسموعات .[1]

و كان هدفه من كتابه هذه الرحلة أن تكون ديوان علم، والواقع أنها كما ذكر فهي ديوان علم لما حوته من المباحث العلمية المتنوعة [2].

و تمتاز أيضا هذه الرحلة بطابع الاستطراد، فقد تعمد العياشي هذا الأسلوب حيث سجل واقع المغرب الاجتماعي والسياسي وما دب فيه من فتن واضطرابات ومجاعات، ولعل أمتع ما حوته هذه الرحلة تلك النصوص الكاملة للعديد من الرسائل أو الكتب المختصرة المفقودة والإجازات، فقد أثبتها العياشي كلها أو اقتصر على بعض الفصول منها.[3]

و قد اعتمد كغيره من الرحالين على بعض المصادر التاريخية كرسائل منازل الحج للبكري، التاريخ الكبير والصغير للسمهودي.....الخ[4].

وفاته :

توفي الشيخ أبو سالم العياشي في عاشر ذي الحجة سنة (1090هـ/1679م)على إثر إصابته بوباء الطاعون.[5]

[1]-أبو سالم العياشي، إتحاف إتحاف الأخلاء، ص:53.

[2] -أوليا جلبي، الرحلة الحجازية، تر: الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999، ص ص:24،25.

[3] -أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاء، ص:55.

[4]-أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، صفحات متفرقة.

[5]-أبو سالم العياشي ،إقتفاء الأثر ،ص:28.

المبحث الثاني : أحوال الدول العربية من خلال رحلة العياشي

تعد الرحلة العياشية من أهم الرحلات التي يمكن اعتمادها كمصدر هام لتاريخ البلدان العربية التي مر بها، لما ضمنه من أخبار وحوادث مختلفة شهدها أو سمعها أثناء رحلته، فهي تشمل مختلف المعلومات التاريخية والجغرافية والسياسية والإجتماعية والثقافية.

1-الملامح الجغرافية والتاريخية :

قدم لنا الرحالة أبو سالم العياشي وهو في طريقه إلى بيت الله الحرام ملاحظات هامة عن أوصاف المدن والقرى التي مر بها ونبذة عن تاريخ كل واحدة منها .

1-1-الجزائر :

إن العياشي من الرحالة البارزين الذين قدموا لنا معلومات جغرافية جد هامة عن الجنوب الجزائري، فأشار إلى تنوع الاراضي التي مر بها منها السهل ومنها الحماد [1] و الجبال، ومنها الاراضي الحرشة الوعرة، ومنها الرمال الكثيفة التي يحار فيها النظر، أرض لا يهتدي فيها إلا من مارسها [2]، ويظهر ذلك من خلال قوله أنها : « أرض لا يتشعب في شعابها الا خوافق الرياح، ولا يجترىء على قطعها الا ذو خف أو جناح.....بلاد كاد الطعام أن يكون فيه دواء[3]» فمن نماذج هذه الأراضي القرى التابعة إلى واحات توات[4] كقرية والاّ « قربها رمالا كثيرة يحار النظر في كثرتها وصعوبتها »[1] وقليعة –تصغير قلعة – « وهي قرية حصينة على حجر صلد في سفح جبل منقطع عنه»[2].

---

[1]-**الحماد:** هي هضبة صخرية تغطيها صخور جيرية ممتدة في شكل صفائح طبيعية . ينظر : الصديق حاج أحمد آل المغيلي، التاريخ الثقافي لاقليم توات من القرن 11هـ إلى 14هـ منشورات الجسر، الجزائر، ط2، 2011، ص:42.

[2]-مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص:26.

[3]-أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية ،مج1، ص-ص:75-80.

[4]- **وحات توات** : هي عبارة عن مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تؤلف فيما مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان، يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت ومن الجنوب هضبة مويدير ويشكل واد الساورة الطريق التجاري لإقليم التوات. ينظر : محمد حوتية، توات الموقع الجغرافي والأهمية التاريخية، ضمن الملتقى الوطني الأول:=

و من اهتمامات العياشي تقديم أخبار عن الماء والأودية في الصحراء فذكر أماكن تواجدها، فمن بين الأودية التي ذكرها في رحلته وادي جير « وهو وادي كبير أفيح، ملتف الاشجار، قليل الاحجار، كثير المرعى.....يجتمع إليه السيول من مسافات بعيدة، ولا تصل الا بعد أيام عديدة ...وعليه قرى ومزارع ويمتد إلى ناحية الصحراء» [3]، ووادي الاساور هو :« من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة »[4]، إلى جانب هذه الأودية ذكر العياشي أن هنالك ماء يقال له زرارة وهي: « بئر طويل جدا متواجد في بسيط من الأرض بين جبلين، أحدهما من رمل،و ماؤها حلو جدا »[5]، ولم يقتصر العياشي على الأودية فقط بل رصد مجموعة من الأحساء كالتي تحفر في الرمل وماؤها طيب[6].

أما عن المعلومات التاريخية التي ذكرها هو ما يتعلق باسم منطقة سيدي عقبة فقال :«أما سيدي عقبة المنسوب إليه البلد فهو عقبة بن عامر التابعي [7]و هو الذي افتتح بلاد إفريقية وبنى مدينة القيروان».[8]

=العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الاسلامي، الجامعة الافريقية العقيد أحمد دراية – أدرار – بالإشتراك مع جامعة ابن خلدون تيارت أيام: 14-15أفريل 2009، ص:25.

[1]- أبو سالم العياشي ، المصدر السابق ،مج1،ص:107.

[2]-المصدر نفسه، مج1، ص: 111.

[3]- المصدر نفسه ،مج1،ص:76.

[4]- المصدر نفسه، مج1، ص:76.

[5]-المصدر نفسه، مج1، ص:112.

[6]- المصدر نفسه ،مج1،ص:74.

[7]-عقبة بن نافع التابعي: يقصد العياشي عقبة بن نافع الفهري من كبار قواد المسلمين، وهو ابن أخت عمرو بن العاص فاتح مصر، تولى عقبة قيادة الفتح في افريقية سنة(42هـ/662م)، وأسس القيروان سنة(51هـ/670م). ينظر : مولاي بالحميسي، المرجع السابق ص:100.

[8]-أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1،ص:539.

1-2-تونس :

قدم العياشي معلومات جغرافية مفيدة بخصوص تونس بحيث رصد مجموعة من المشاهدات الطبيعية الخاصة بها، غير أنه لم يذكر تفاصيل عن تاريخ هذا البلد، فنجده يصف بعض مدنها التي مر بها ويذكر سبب تسميتها بذلك الإسم نذكر على سبيل المثال مدينة نفزاوة [1]التي قال عنها : «و بلاد نفزاوة هذه قرى كثيرة تقرب من الألف كل قرية منفردة وحدها على نشز من الأرض بنخل مجتمع بإزائها .... والحجاج يزعمون أصل تسمية هذا البلد بنفزاوة أنها كانت فيها ألف زاوية، فقيل لها ألف زاوية، ثم تصرف في التسمية فسميت نفزاوة، وما ذكروه وإن كان قريبا لا يصح لأن تسميتها بذلك قديمة من قبل الإسلام على ما في التواريخ والأصل المذكور عربي، ولا عربية في المغرب قبل الاسلام اتفاقا»[2]، كما ذكر العياشي بعض المياه الموجودة في تونس كماء يقال له النبش « وهي أحساء متعددة في أصل واد ولذلك تتردم كثيرا قلما يوجد منها مصلوحا الا واحد ...و مع ذلك فماؤه ليس بذلك، تغلب عليه الحماة، فيتغير بها طعما ولونا وريحا ».[3]

1-3-طرابلس :

حظيت طرابلس بوصف دقيق من أبو سالم العياشي وذلك من خلال ذكر معلومات جغرافية بوصفه لمسالك قافلته في القطر الليبي، إلى جانب ذلك رصده للثروات الطبيعية التي تزخر بها كل منطقة، إضافة إلى هذا كان يقدم معلومات تاريخية خاصة ببعض المناطق التي مر بها الركب.

ومن نماذج أوصافه لمدينة طرابلس قوله:«هي مدينة مساحتها صغيرة، وخيراتها كثيرة، ونكايتها للعدو شهيرة، ومآثرها جليلة، ومعايبها قليلة، أنيقة البناء ،فسيحة الفناء، عالية الأسوار، متناسبة

[1]-**نفزاوة** : مدينة من أعمال إفريقية وللمدينة سور صخر وطوب ولها ستة أبواب وفيها جامع وحمام وأسواق حافلة، وهي كثيرة النخل والثمار وحولها عيون كثيرة. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج5، دار صادر، لبنان، 1977، ص:296.

[2]-أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1، ص ص:125، 126.

[3]- المصدر نفسه ،مج1،ص:129.

الادوار، واسعة طرقها، سهل طروقها ....»[1]؛ وهذه المدينة من المراحل المهمة بالنسبة للحجاج المغاربة، حيث كان يقيم فيها الركب شهرا كاملا لتجديد نشاطه، وشراء ما يحتاج إليه من الإبل والقرب يكفي لثلاثة أشهر إلى مصر إن كان الوقت شتاءا وإن كان صيفا فنحو شهرين .[2]

و يعرج العياشي على ذكر الإقليم الأكثر شهرة، وهو إقليم برقة التي وصفها بقوله : « بادية برقة المتناهية الاطراف المخوفة الاكناف، الضاحية الأرجاء، البعيدة الأنحاء، القليلة المرعى، المجهولة المسعى»[3]، وقد أبرز أقسام هذا الإقليم حسب عرف أهلها :" أولها من حسان إلى ما وراء الأحمر بيومين يسمى سرت، ومن هناك إلى قرب المنعم يسمى برقة البيضاء، ومن هناك إلى سلوك يسمى الحمراء، ومنه إلى التميمي يسمى الجبل الاخضر، ومنه إلى العقبة الكبرى يسمى البنطان ومن العقبة الكبرى إلى الصغرى يسمى العقاب ومن العقبة الصغرى إلى الاسكندرية يسمى العقبة الصغرى "[4].

و من الواضح أن الركب المغربي كان يسلك الطرق المحاذية لمصادر الماء من ينابيع وآبار، وواحات وأحساء وغيرها، فمنها عين الغزالة « فهي عين من الماء العذب فيه بعض الملوحة تصب في بحيرة منقطعة عن البحر يدور بها القصب من أكثر جهاتها، وليس في برقة كلها ماء يجري إلا هذا »[5]، أما الأحساء فهي كثيرة أيضا كماء بقيق «و هي أحساء كثيرة في رملة بيضاء في سفح كثيب من الرمل الأبيض يظهر من بعد كأنه ثلج »[6]، أما من المياه القبيحة ماء الهائشة التي كلما نزل المطر لا يزيدها إلا مرارا[7].

[1]-أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1،ص:135.
[2] -المصدر نفسه ،مج1،ص:135.
[3] - المصدر نفسه ،مج1،ص:487.
[4] - المصدر نفسه ،مج1،ص:206.
[5] - المصدر نفسه ،مج1،ص:205.
[6]- المصدر نفسه ،مج1،ص:207.
[7]- المصدر نفسه ،مج1،ص:499.

أما بالنسبة لتاريخ هذا البلد فنجد العياشي يذكر الكثير من التفاصيل التاريخية الخاصة ببعض المناطق فيعطي لمحة عن النشأة ،و الاعمار أو التخريب، وإثبات الكثير من النوادر، فنجده يصحح اعتقاد أهل مدينة برقة حول القبر الذي ينسبونه إلى نبي، فرجح إلى أنه قبر أحد الفاتحين رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري النجاري [1] و زهير بن قيس البلوي[2] مستدلا بما أثبته المؤرخون[3].

1-4-مصر :

حاول العياشي تقديم صورة جغرافية عن بلاد مصر من خلال وصفه الدقيق لبعض أراضيها وبعض المدن التي مر بها، فمن نماذج أوصافه لهذه المدن منها الاسكندرية حيث ذكر أنها :«من أمهات المدن المذكورة في الدنيا .....و من عجائبها العمود المشهور بعمود السواري .....و من مبانيها العجيبة التي لا شبيه له في الدنيا حمامها الكبير»[4]، أما من الاراضي التي رأى أنها تسبب المشقة للحاج أرض التيه واصفا إياها بقوله :«هي أرض مقفرة موحشة طويلة عريضة معطشة ..... و هذا المحل من المحال التي تعظم فيها المشقة أيام الحر، وقد تتلف فيها أنفس كثيرة بالعطش»[5].

---

[1]-**رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري النجاري** : المدني ثم المصري الأمير له صحبة ورواية نزل مصر واختط بها وولي طرابلس الغرب لمعاوية في سنة (46هـ/666م) ، فغزى افريقية سنة (47هـ/667م) ودخلها ثم انصرف توفي ببرقة وهو أمير عليها لمسلمة بن مخلد في سنة (56هـ/575م). ينظر :شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 ،1996، ص:36.

[2]-**زهير بن قيس البلوي:** فتح تونس ثم انصرف إلى برقة فبلغه أنه جماعة من الروم خرجوا من مراكب لهم فعاثوا فتوجهوا إليهم في جريدة خيل فلقيهم فاستشهد ومن معه سنة (76هـ/695م)، فقبره هناك وقبورهم تدعى قبور الشهداء. ينظر : البلاذري، فتوح البلدان ،ج1،مطبعة الموسوعات، القاهرة، ط1،1901م، ص:231. ابن كثير، البداية والنهاية،ج9، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 2009، ص:16.

[3]-أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ، مج1، ص:199.

[4]- المصدر نفسه ، مج1، ص:477.

[5]- المصدر نفسه ، مج1، ص:275 .

ومن أشهر أنهار مصر التي تم ذكرها هي نهر النيل الذي وصفه بأنه :«من أشهر الأنهار الاربعة الخارجة من الجنة، وأثر بركته ظاهرة للعيان في مائه و ترابه وقراه ومدائنه بحيث لا يوجد أوسع مزارع وأكثر خصبا ».[1]

أما بالنسبة للآبار فقد ذكر منها بئر الصعاليك «ويسمى بئر البارود وهو بئر كبيرة طويلة مطوية بحجر وبناء متقن في أصل وادي .....ماؤه بارد لكنه قبيح لا يكاد الشارب يسيغه »[2].

وأما من المعلومات التاريخية التي سجلها العياشي عن رحلته في بلاد مصر نذكر مايتعلق بانقطاع الخلافة العباسية حيث نذكر ما قاله شيخه عبد الوهاب الشعراني[3]« بأن السلطان سلبها لما دخل فيها قتل الكثير ممن فيها من المجاذيب وأرباب الاحوال، وذكر عن بعض أهل الاحوال أنه كان يخبر بذلك قبل وقوعه »[4].

2- الأحوال السياسية :

حاول أبو سالم العياشي من خلال رحلته أن يبرز لنا أوضاع السياسة التي كانت سائدة آنذاك في الاقطار العربية، متحدثا عن الاستبداد وظلم الولاة وكذلك انعدام الامن فيها .

2-1-الجزائر:

يظهر من رحلة العياشي أن أجزاء كبيرة من البلاد كانت مستقلة لا تخضع للوجود العثماني بل هي تحت تصرف أمراء محليين[5]، فنجد القليعة من طاعة سلطان واركلا[1]، وبها عامله يتحاكم إليه

[1]- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1، ص:220.

[2] - المصدر نفسه،مج1،ص ص:279،280.

[3]- عبد الوهاب الشعراني(ت: 973هـ/1565م): هو الإمام الفقيه المحدث الصوفي، العارف، والمسلك، أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني الشافعي، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وتآليفه تزيد عن ثلاثمائة كتاب في علوم الشريعة. ينظر: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ص: 1080.

[4]- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ، مج1،ص:250.

[5] -مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص:28.

أهل قريته ويذعنون لأمره وقد أشار العياشي إلى هيئته بأنه أسود حافي الرجل عاري الرأس[2]، وكان يحكم واركلا أمير يدعى "علاهم"، وقد تحدث العياشي عن حوادث وقعت في هذه المدينة بسبب فتنة بين أمير واركلا وبعض أهلها أدى إلى وقوع كثير من القتلى، وكان أيضا لأولاد سيدي الشيخ[3]الذين هم أخوال سلطان واركلا نفوذ في البلد[4]، وكانت مكوسا من طاعة وادي ريغ، أما تماسين فأميرها إبن عم أمراء تكرت[5]، وقد كانت هذه الأخيرة قاعدة وادي ريغ ومسكن أمراءها أولاد جلاب وأمراء هذه البلدة أولاد الشيخ أحمد بن جلاب، وأسلافهم من بني مرين وحسب ما لاحظه العياشي هم من أعدل الأمراء، وليس عليهم أبهة الملك بل يخرج الأمير منهم وحده أو مع رجلين، وهو عند أهله كواحد منهم في جلوسه وكلامه، يتواصل إليه كل أحد[6]، أما بسكرة فقد تضررت في ذلك العهد من التحالف التركي وعساكر الاعراب عليها « يستولي عليها هؤلاء تارة، وهؤلاء تارة، إلى أن بنى الترك عليها حصنا حصينا على رأس الماء الذي يأتي إليها، فتملكوا البلاد وبروا بأهلها .....فاجتمعت عليها غارة العرب من خارج وظلم الترك من داخل، وقد أشرفت على الخراب[7]، أما أولاد جلاب» فهم « في قوة ومنعة من العرب لا يؤدون إليهم أتاوة»[8].

---

[1]–**واركلا** : مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدائن مسورة حصينة بعضها قريب من البعض ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى. ينظر : حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص:136؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984، ص:600.

[2]–أبو سالم العياشي،المصدر السابق ، مج1، ص:111.

[3]–**أولاد سيدي الشيخ** :قبيلة جزائرية انتشر أبناؤها في الجنوب الغربي من الوطن أكثرهم رحل وقليلهم مقيمون مستقرون، ينتمون إلى الشيخ عبد القادر بن محمد المتوفي سنة(1023–1024هـ /1615م). ينظر: مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص:79.

[4] –أبو سالم العياشي ، المصدر السابق ، مج1، ص:115.

[5]–**تكرت** : مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء، يمر في سفحها نهر صغير يقطعه جسر متحرك كما يوجد ذلك في أبواب المدن وهي مسورة بسور من الطوب والطين، وتقع هذه المدينة على بعد نحو 5000 ميل جنوب البحر المتوسط. ينظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا ، ج2، ص: 135.

[6]–أبو سالم العياشي ، المصدر السابق ، مج1، ص ص:119، 120–122.

[7] – المصدر نفسه ، مج2، ص:540.

[8]– المصدر نفسه ، مج2، ص:545.

ونلمس من خلال هذه الاوضاع السياسية أن المد التركي قد وصل عسكريا إلى بسكرة وروحيا إلى واركلا حيث سمع العياشي في هذه البلدة شخص يدعى السلطان الأعظم، الخاقان الأفخم، محمد بن إبراهيم بن مراد وذلك في خطبة الجمعة .[1]

2-2-طرابلس :

تزامنت رحلة العياشي مع الحكم العثماني لطرابلس الغرب حيث كان الداي عثمان الساقزلي حاكما عليها، وقد كان متبعا سياسة مجحفة في حق الأهالي حتى ثارت عليه القبائل لأجل التخلص منه ويظهر ذلك في قول العياشي : « لكثرة ظلم أعوانه في الجباية فمالت أنفس مقاتلة الشريف »[2]، وكان ممن انتفضوا على الداي -على حد ذكر العياشي –أهل تاجوراء[3]، ورئيس عرب الناحية الغربية من طرابلس ولد نوير كان ذا شهامة وبأس شديد [4]، وقد أدى ذلك إلى انتشار الفوضى وعمليات السلب والنهب حتى على قوافل الحجيج المارة من البلاد، فأشار العياشي إلى انعدام الأمن بحادثة السطو على الركب الذي هو به قائلا :«تمكن الحجاج الذين يبيتون في الركب ويحرسون الابل والأمتعة من سارق دخل عليهم ليلا في خباء، وأوثقوه إلى الصباح فأمر الأمير بخنقه فخنق على باب المدينة، فترك هناك معلقا فكان نكالا لغيره »[5]، أما خارج المدينة عبر أبو سالم عن انزعاجه من الإنفلات الأمني بقوله :«وخارج مدينة طرابلس وسائر عمالتها أكثر البلاد سرقة، وأعرابها أعلم الناس باستعمال الحيل في ذلك، مع إقدام وهجوم بالليل إن تمكنوا من ذلك يبيت الحجاج فيها طول ليلتهم في

---

[1] – أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ، مج1، ص:114.

[2]– المصدر نفسه ،مج1،ص:139.

[3] –**تاجوراء** : هي قرية كبيرة عامرة وبها قصر متسع يشتمل على دور كثيرة وكان بداية عمارتها عام(550هـ/1155م).ينظر: عبد الله التجاني، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدر العربية للكتاب، ليبيا، (د ط)، 1981،ص:307.

[4]–أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1،ص:139.

[5]– المصدر نفسه ،مج1،ص:177.

ضجيج وعجيج، وصياح ونباح وإيقاد نار خارج المنازل وضرب بالمكاحل ومع ذلك قل ما سلمت لهم ليلة من سرقة شيء»[1].

كما أشار العياشي إلى أن أهل سرت[2]يعيشون في جو من الظلم واستبداد بقوله: « عربها أهل رفاهية الا أن الجور أجلاهم عن بلادهم وشتت شملهم ....فهم مستندون إلى الأمير عثمان في الظاهر مستبدون برأيهم في الباطن»[3]، إلا أن حالتهم تغيرت بعد أن ولي عبد الرحمن الجبالي الملقب بـ : " سيد روحه " على البلاد فقد مدحه العياشي بأنه : « قهر الاعراب وقويت شكيمته على أهل البادية »[4]، فتمكن فقراء الاعراب من الرجوع إلى بلادهم فعمرت البلاد بعض العمران،[5]كما أشار العياشي إلى ما تعرض له الحجاج من إبتزاز من عرب أهل سرت طالبين منهم المكس، مع أن أوامر الباشا إلى أعوانه أن لا يعترضوا الحجاج ولا يجبروهم على أداء المكس ويظهر ذلك في قوله: «وكانت العادة أنه من اشتد عليه المغرم من الرعية، وأراد الخروج من البلد والفرار لا يتركونه إلا إن كان مع الركب، فلا يتعرض له »[6]، وقد عرج العياشي إلى أن برقة عاشت خارج نطاق الحكم العثماني وذلك من خلال قوله : «لا حكم لأحد من العمال عليهم إلا أشياء قليلة يؤدونها في بعض الاحيان لصاحب أوجلة »[7].

2-3-مصر :

لقد تحدث العياشي عن الاوضاع السياسية في مصر والتي اتسمت بالاستبداد وظلم ولاتها حيث كانوا يضاعفون الوظائف الجورية على الرعية، وقد بين العياشي شدة استبدادهم بقوله :«لا هم

---

[1]- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1،ص:177.

[2]-**سرت** : مدينة عتيقة أسسها المصريون حسب رواية بعضهم، ورومان حسب رواية الآخرين ويرى غيرهم أنها من بناء الأفارقة. ينظر : حسن الوزان، وصف افريقيا ،ج2، ص:155.

[3]-أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1،ص:196.

[4] - المصدر نفسه ،مج1،ص:197.

[5]- المصدر نفسه ،مج1،ص:197.

[6]- المصدر نفسه ،مج1،ص:177.

[7]- المصدر نفسه ،مج1،ص:201.

ينصفون ويخففون عنهم من المظالم، ولا هم يتركونهم يذهبون حيث شاءوا يسيحون في الأرض ....»[1] و لم يتوقف الامر عند هذا الحد فقد كانوا يأخذون أموالهم بقوة « فأينما بدت لهم صبابة من الدنيا وثبوا عليها، إن كان صاحبها حيا تسببوا له بأدنى سبب حتى يأخذوا ماله، إما مع رقبته أو بدونها ان كان في العمر فسحة، وإن كان ميتا ورثوه دون بنيه وبناته »[2]، أما الفئة المستضعفة لا مشتكى لهم إلا الله ومن تجاسر منهم واشتكى ضوعف عليه العذاب الأليم [3]، وقد أشار العياشي إلى كثرة الصالحين في هذه الفئة لأن نفوسهم ميتة قد تربو على الذل والاحتقار وزالت الرئاسة وحبها من قلوبهم،كما أنه إذا وقف أحدهم لعمل الطاعة والتفت أدنى إلتفات لإصلاح حاله لا يمنع من ذلك لأن أكبر الموانع وأعظم الآفات حب الرئاسة،[4]و قد أشار العياشي إلى جانب كل هذا إلى كثرة المكوس[5]بسواحل الطينة.[6]

3-الأحوال الإقتصادية والإجتماعية :

حرص أبو سالم العياشي خلال رحلته الشهيرة إلى الديار المقدسة بحس الفقيه العالم على تتبع مختلف نواحي الاختلال في مجريات الحياة الاقتصادية التي لمسها في مختلف المعاملات التجارية في مختلف الاقطار العربية، التي مر بها كما سجل الاحوال الإجتماعية من عادات وتقاليد والمستوى المعيشي الخاص بكل منطقة.

3-1-الجزائر :

أدرج العياشي في رحلته الكثير من المعلومات الخاصة بالنشاط الاقتصادي في الجزائر، فمن بين ما لاحظه أن توات كانت في ذلك العهد مركزا اقتصاديا لحجم المبادلات التي كانت تتم بين أهل

[1]- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1،ص:221.
[2]- المصدر نفسه ،مج1،ص:221.
[3]- المصدر نفسه ،مج1،ص:221.
[4]- المصدر نفسه ،مج1،ص:221.
[5]- المصدر نفسه ،مج2،ص:470.
[6]-**الطينة** : بليدة بين فرّامة و تنّيس من أرض مصر. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4،ص:56.

توات واهل تنبكت[1] بحيث يوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك الشيء الكثير من خيل وملابس الملف والحرير، فإذا قدم الركب إليها كان فيها سوق حافل،[2]و ما لاحظه العياشي هناك أيضا أن عملة أهل توات تسمى المثقال الشريفي نسبة إلى الأمير الشريف صاحب سجلماسة[3]،و كان العياشي مهتما بقيمة صرف الذهب فقابل بين غلاء تافلالت ورخص توات فقال: «إن الذهب فيها أرخص وكذلك القوت من الزرع»[4]، كما نجد العياشي بين مقدار العملة التي يتعاملون بها كوركلا عملتهم يكثر فيها النحاس أربعة وعشرون في ربع ريال [5]، أما تكرت فعملتها قراريط صغيرة اثنان وثلاثين منها في ربع ريال [6]، إضافة إلى هذا أبرز العياشي المناطق التي تشهد غلاء السلع مثل الأغواط والكرارد[7]، والأخرى برخصها مثل توات وأبو سمغون [8].

و من منتوجات الصحراء التي فضلها العياشي هي بسكرة بقوله :«ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أرخص ولا أجمع لأسباب المعاش »[9]فهذه المدينة تزخر بكثير من المنتوجات من تمر وزيتون وكتان وحناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول واللحم والسمن.

إلى جانب هذه المعلومات الخاصة بالجانب الاقتصادي سجل العياشي في رحلته حالة المجتمع الجزائري، وطريقة عيشهم، فسكانها صنفان : حضر وبدو، فأهل الحضر مزارعون لوجود الماء ولذا تحولت قراهم إلى أسواق ومراكز تموين ومحل مبادلات، أما البدو الرحل منتقلون يجرون وراء الماء

[1]-تنبكت: إسم مدينة بناها ملك منسا سليمان عام(610هـ/1213م)، على بعد نحو 12 ميلا من أحد فروع النيجر ودور تنبكتو عبارة عن أكواخ مبنية بأوتاد مملوطة بالطين ومسقوفة بالتبن. ينظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص:165.

[2]-أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1،ص:118.

[3]- المصدر نفسه ،مج1،ص:79.

[4] - المصدر نفسه ،مج1،ص:79.

[5] - المصدر نفسه ،مج1،ص-ص:118-122.

[6] - المصدر نفسه ،مج1،ص-ص:546-548.

[7]- المصدر نفسه ،مج1،مج2، ص-ص:79-548.

[8]- المصدر نفسه ،مج1،ص:540.

[9]- المصدر نفسه ،مج1،ص:540.

والعشب ويعيشون بتربية المواشي والصيد[1]، ووقف العياشي على طريقة عيشهم فذكر أن أهل سوف يعيشون «في زرائب من جريد النخل فإليها يأوون وإليها يخزنون»[2]،كما تطرق العياشي إلى ذكر العديد من عادات الأهالي الغريبة في أغلب الاحيان فأهل واركلا إذا دخلوا إلى المسجد للصلاة يتيممون وكأن كلهم من ذوي الاعذار، وثياب موتاهم ترمى خارج المدينة حتى لو كانت جديدة [3]، وأهل أبو سمغون فعادتهم أنهم يخرجون إلى المصلى بسلاحهم صغيرا كان أو كبيرا [4]، كما تحدث العياشي عن اعتداءات الاعراب أكثر من مرة ففي بسكرة كان أهلها يحذرون من أعراب أولاد بن أبو عكاز[5]، الا أن هناك أعراب ليسوا بلصوص غالبهم بين الجديد وواركلا « غالبهم أهل عافية لا أذية فيهم»[6].

3-2-تونس :

لقد أعطى العياشي لمحة عن الاحوال الاقتصادية والاجتماعية في بلاد تونس، فتحدث في الجانب الاقتصادي عن توفر الملح في مرسى كرمية – يحجر عند برج الملح –يأخذ منه النصارى بإذن أمير البلد[7]، كما أشار إلى رخص أسعار اللحم والسمن وخاصة التمر [8]في مدينة توزر[9].

[1] -مولاي بالحميسي، المرجع السابق،ص:27.

[2] -أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1،ص:123.

[3] - المصدر نفسه ،مج1،ص-ص:116-118.

[4] - المصدر نفسه ،مج2،ص:549.

[5] - المصدر نفسه ،مج2،ص:539.

[6] - المصدر نفسه ،مج1،ص:112.

[7] - المصدر نفسه ،مج1،ص:130.

[8] - المصدر نفسه ،مج2،ص:535

[9] -**توزر**: مدينة عتيقة بناها الرومان في صحراء نوميديا على جدول ماء صغير يأتي من بعض الجبال من جهة الجنوب. ينظر : حسن الوزان، وصف افريقيا، ج2،ص:142.

أما بالنسبة للجانب الاجتماعي فقد أشار إلى العادات الغريبة التي شاهدها في هذا البلد أن سكان نفزاوة يحرثون ببقرة واحدة، وأخذه العجب عندما رأى بعضهم يحرث ببعير، وازداد عجبه عندما رأى إنسان يحرث بإنسان آخر يمسك أحدهما المحراث ويجر الآخر.[1]

3-3-طرابلس:

رصد لنا العياشي مجموعة من المناطق التي يكثر فيها النشاط الاقتصادي في ذلك الوقت، وعرض أهم منتوجاتها فتحدث عن جودة الزيت في أحد جبال مسلاته[2]- جبل النكازة- بقوله :«وزيت هذا البلد من أطيب الزيوت مذاقا سيما ضرب منه يسمونه ضرب الماء .....لا تكاد تميز بينه وبين السمن »[3]،و تحدث أيضا عن نوعية النخيل الموجودة بها ففي ساحل حامد «.....نخل هذا الساحل كله رديء، تمره لا يدخر ولا ييبس إلا بعد نزع النوى منه، فيبقى كقطع الجلد لا قوة فيه ولا حلاوة ولا طعم .....»[4]أما بلدة أبو كدية فتمرها أطيب من تمر غيرها وأجود من بلاد الساحل[5].

كما تحدث العياشي عن الحركة التجارية المزدهرة في مرسى إبن غازي فقال :«وتسوقنا طائفة من أهله بما قصينا منه العجب من السمن والإبل والغنم، ولم نعهد مثل ذلك في بلد من البلاد ولا رأينا أرخص سعرا»[6]و أشار إلى عدم خبرتهم في البيع والشراء بحيث « يؤخذ منهم زهاء القناطير من

[1] -أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1،ص:126.

[2] -**مسلاتة** : اقليم على شاطيء البحر المتوسط، بعيد بنحو خمسة وثلاثين ميلا عن طرابلس، فيه عدد من القرى والقصور العامرة بالسكان الأثرياء، لكثرة ما فيه من النخيل وشجر الزيتون. ينظر : حسن الوزان، وصف افريقيا، ج2، ص:111.

[3] -أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1، ص:180.

[4] - المصدر نفسه ،مج1، ص:182.

[5] -المصدر نفسه ،مج1، ص:194.

[6] -المصدر نفسه ،مج1، ص:201.

السمن بالثمن التافه من بز أو عروض، أو غير ذلك من الحوائج، ولا يعرفون للدرهم قدرا.....»[1]، أما من أعظم أسواق طرابلس سوق العمروس تجلب إليه الابل من كل مكان.[2]

كما سجل العياشي مجموعة من الملاحظات عن المجتمع الليبي آنذاك فمن بين الامور التي اعتبرها من الغرائب أن عرب الجبل الاخضر يركبون البقر ويحملون الهوادج عليها، كما أن الاغنام لا يسوقونها إنما يسير صاحبها وهي تتبعه مثل الكلب المعلم [3]، كما تحدث العياشي عن عادة الصيد بالصقر حيث شاهد مجموعة على خيولهم وبأيديهم صقور يصيدون بها[4] .

3-4- مصر :

لاحظ العياشي في الجانب الاقتصادي لبلاد مصر، اكتظاظ الاسواق وشدة ازدحامها «فكل سوق دخلته تقول هذا أكثرها زحاما فإذا خرجت منه لآخر وجدته مثله أو أشد فقليلا ما تجد أحدا يمشي في أزقتها وأسواقها على مهل وسكينة، بل كل من تلقاه تراه مشمرا جادا في سيره »[5].

ومن المناطق الاقتصادية التي أشار إليها العياشي مدينة السويس[6] وفيها « ترسى السفن التي تأتي من مكة وجدة واليمن ،و فيها السلع التي لا تحصى»[7]، وأما المناطق التي يكثر فيها الصيد البحري الطينة، وقد شاهد فيها العياشي « الدابة المسماة عند البحريين بالدنفيل ويقولون هي خنزير البحر»[8].

---

[1] - أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1، ص:201.

[2] -المصدر نفسه ،مج2، ص:502.

[3] - المصدر نفسه ،مج1، ص:203.

[4] -المصدر نفسه ،مج1، ص:127.

[5] - المصدر نفسه ،مج1،ص:223.

[6] - **السويس**: تقع على ساحل بحر القلزم من نواحي مصر، وهو ميناء أهل مصر اليوم مكة والمدينة بينه وبين الفسطاط سبعة أيام في برية معطشة. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج4، ص: 286.

[7] -أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1، ص:274.

[8] -المصدر نفسه ،مج2، ص:470

أما بالنسبة للجانب الاجتماعي لمصر فقد تحدث عن كثرة أصناف المجتمع، ففيها الكثير من التجار والفقهاء وطلبة العلم وحتى الفقراء، فمن طلب جنسا وجد منه فوق ما يظن[1] ، كما أشار العياشي إلى أن « أهلها لهم عقول راجحة، وذكاء زائد فمن استعملها في الخير فاق فيه غيره، ومن استعملها في غيره فكذلك»[2].

أما بالنسبة للتصرفات التي تعجب منها ما يحمله الجمالون على ابلهم حيث قال :« و قد سخر الله تعالى الإبل لهم ونزع الرحمة من قلوبهم، يحملون عليها القناطير المقنطرة من الأمتعة وأحمال الحطب والتبن وغير ذلك حتى لا يظهر من الجمل الا رأسه»[3].

أما من العادات التي رأى أنها مذمومة خروج نساء مصر ليلة العيد إلى المقابر[4]، ومن عادات مصر أيضا شرب القهوة [5]، التي كان المغاربة يجهلونها حتى في عهد العياشي ويظهر ذلك في قوله : «نحن لا نعرفها وليس عندنا لا بطعام ولا بدواء ولا شهوة»[6]، و لقد لاحظ العياشي أن الشاربين للقهوة في مصر فريقان : «فريق يشربونها في أماكن معدة لذلك مزخرفة قلما تخلو من لهو وحضور من لا يحل حضوره من الجواري ..... و فريق يشربونها في مساكنهم أو حوانيتهم أو يشترونها في السوق ويشربونها من غير جلوس مع الفريق الاول »[7].

[1]– أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1، ص:222.

[2]–المصدر نفسه ،مج1، ص:222.

[3] – المصدر نفسه ، مج1، ص:225.

[4]– المصدر نفسه، مج1، ص:235.

[5]–**شرب القهوة** : يقال أن أول من أخرجها وأحدثها من أرض اليمن الشيخ الولي الصالح علي بن عمر الشاذلي اليمني الذي أمر أتباعه بشربها للإستعانة بها على السهر في العبادة. ينظر: أبو سالم العياشي، المصدر السابق،مج1، ص:238.

[6]–المصدر نفسه ،مج1، ص:236.

[7]– المصدر نفسه ،مج1،ص:236.

4- الأحوال الثقافية :

كان لمسار الرحلة العياشية نحو الديار المقدسة دور هام في تحديد ورسم طبيعة الأفكار التي وقف عندها أبو سالم العياشي في طريقه نحو المشرق، حيث أشار إلى المعالم الثقافية لكل دولة عربية مر بها من مساجد وزوايا ومكتبات التي تزخر بها كل منطقة، بالإضافة إلى العلماء والفقهاء الذين انتفع منهم.

4-1- الجزائر:

ازدهرت بالصحراء سلسلة من الزوايا وعظم شأنها وزاد نفوذها، فذكر العياشي ما اشتهر منها كزاوية سيدي عبد الله إبن طمطم، وسيدي عمر بن محمد الصالح الخزرجي الشامي[1]، و زاوية الشيخ عبد الرحمن الأخضري[2] و كلها دور علم وتعليم و إشعاع فكري .

ويضاف إلى الزوايا أضرحة العلماء والصلحاء مثل سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس، وسيدي محمد بن موسى[3]، و أبي الفضيل والنبي خالد[4] و التي أصبحت مزارات، أما العلماء والفقهاء الأحياء منهم فهم يهتمون بالمسائل الفقهية كبيع الماء[5] و الهروب من الوباء قبل أن يحل[6]، وكانوا يحتفظون بكتب عديدة حيث وجد العياشي بوالا نسخا من نوازل البرزلي بخط الامام بن مرزوق وإجازات لبعض السادات القادرية بخط مشرقي[7]، وبوركلا يوجد عند أحد الائمة أجزاء من

[1]-أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1، ص ص :80،81.
[2]- المصدر نفسه، مج1، ص:54.
[3]- المصدر نفسه، مج1، ص-ص:80-108.
[4]- المصدر نفسه، مج1، ص-ص:539-542.
[5]- المصدر نفسه، مج1، ص:82.
[6]- المصدر نفسه، مج1، ص:88.
[7]- المصدر نفسه، مج1،ص:108.

الموطأ ومن البخاري ومن الإكمال وبعض شرح المختصر والرسالة[1]، أما مكتبة أمير واركلا فوجد فيها التوضيح و"التتائي"[2] و "بهرام" [3]و حواشي على الصغرى[4].

كما رصد العياشي مجموعة من المساجد فقام بوصفها وتحدث عن حالتها مثل بسكرة التي ذكر أن فيها : « مسجد في غاية السعة واتقان البناء، إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه فلا ترى به مدرسا ولا قارئا»[5]، كما أشار إلى مستوى أحد الأئمة الذين حضر خطبهم يوم الجمعة بجامع المالكية بواركلا فقال:« خطب الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف، والتقديم والتأخير مع ادغام أكثر حروفها، حتى كأنها همهمة فكنت أتخوف ألا تصح لنا معه جمعة إن كانت صلاته كخطبته»[6].

4-2- تونس:

ركز العياشي في المجال الثقافي على ذكر مجموعة من المزارات المشهورة بتونس منها زاوية جمنة وبها قبر رجل من الصالحين يقال له سيدي حامد الجمني[7]، وزاوية سيدي عبد الله بن عبد العزيز بن يحي بن عبد الرحمن بن جابر، أحد سادات الحمارنة[8]،و كذلك زاوية أبي هلال السوداني« في سند الجبل وعليه مشهد وعنده مسجد وثيق وحوله أبنية ليس فيها ساكن، وقبور كثيرة ربما ترى الأموات

1- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ، مج1،ص:116.

2- **التتائي** : نسبة إلى أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم التتائي (ت:942هـ/1535م) الامام الفقيه، تخلى عن القضاء وتصدر للتأليف والإقراء، له شرحان على المختصر و شرح على ابن الحاجب الفرعي. ينظر: محمد مخلوف، شجرة النور ،ج1، ص:393.

3- **بهرام** :بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري (ت:805هـ/1402م) حامل لواء المذهب المالكي بمصر، أخذ عن الشيخ خليل تأليفه وبه ثقفه، له تآليف منها "شروح على مختصر شيخه خليل كبير و وسيط و صغير" و"شرح مختصر ابن الحاجب". ينظر : محمد مخلوف، شجرة النور، ج1، ص:345.

4- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ، مج1،ص:117.

5- المصدر نفسه ،مج2، ص:540.

6- المصدر نفسه ،مج 1، ص:114.

7- المصدر نفسه ،مج1، ص:126.

8- المصدر نفسه ،مج1، ص:128.

في بعضها عليهم أكفان لم يتغير منهم شيء»[1] بالإضافة إلى قبر سيدي كناو وهو في قرية خالية بفضاء من الأرض وقد أشار العياشي إلى أن « أهل تلك النواحي يحترمونه كثيرا ويؤثرون عنه كرامات عظيمة بحيث يقصده الناس من سائر النواحي بصدقات كثيرة من زرع و تمر و إدام ولحم، ويوضع ذلك في بيوت خارج المسجد ومن جاع أكل منه حاجته ولا يرفع منه شيئا، ومن رفع منه شيئا عطب في الحين وهو ما اشتهر على ألسنة الحجاج وغيرهم من أهل البلد»[2].

4-3- طرابلس :

لقد أورد العياشي في رحلته العديد من الزوايا التي كان لها دور هام في المجال التعليمي ومن أشهر هذه الزوايا التي كانت مقصد الزائرين، زاوية سيدي عبد السلام الأسمر وزاوية سيدي أحمد زروق[3]، أما الأضرحة والمزارات فعددها لا يحصى مثل سيدي مفتاح وهو من القبور التي كانت مخفية وأظهرها سيدي عبد السلام الاسمر بفرسه[4].

ومن العلماء الذين التقى بهم وانتفع بهم شيخه المفتي محمد بن أحمد بن مساهل[5] و ابن عمه شعبان[6]، والتقى أيضا بمفتيها محمد المكي، وكان لهذا الشيخ خزانة كتب ليس مثلها لأحد من أهل بلد، وقد إستعار منه العياشي "المطول"[7] لسعد الدين، و "العضد على مختصر إبن الحاجب"[1].

---

[1]- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج2، ص:533.

[2]- المصدر نفسه ،مج1، ص:127.

[3]- المصدر نفسه ،مج1، ص-ص:184-188.

[4]- المصدر نفسه ،مج1، ص:183.

[5]- **محمد بن أحمد بن مساهل (ت:1078هـ/1667م)** : من ذوي السيرة المشكورة، وذوي الأخلاق المحمودة، مع المشاركة في العلوم وحسن الاطلاع على فروع المذهب، ولي الفتوى ببلده نحو من أربعين سنة ثم أستعفي منها فأعفي، ولازم داره ومسجده للتدريس. ينظر: محمد الإفراني، صفوة من انتشر، ص ص:171 ،172.

[6]- **شعبان بن مساهل**: من أعيان طرابلس و فقهائها، كانت له معرفة بنوادر من التاريخ وجزيئيات من علم النجوم. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج2، ص:371؛ أبو سالم العياشي، المصدر السابق، مج1، ص:142.

[7]- **محمد المكي**:(**ت:1099هـ/1687م**): من بيت علم وتصوف، ولي الخطابة والتدريس والإفتاء بمدينة طرابلس. ينظر: القادري، نشر المثاني، ج2، ص:59.

أما بالنسبة للمسائل الفقهية التي أوردها العياشي في رحلته مسألة شرب الدخان، وهي من المسائل التي حرمها الكثير من العلماء كالشيخ ابراهيم اللقاني (ت:1041هـ/1631م) وشيخه سالم الشنهوري (ت:1015هـ/1606م) [2].

4-5- مصر :

ذكر العياشي عدة زوايا مشهورة بمصر منها الزاوية الموجودة بالاسكندرية لأبي صالح مشيرا إلى أنها من الزوايا التي ينزل بها المغاربة، يتبركون بالسلاح المعلق بها زاعمين أنه من سلاح الصحابة الذين فتحوا المدينة وقد فند العياشي صحة ذلك[3]، كما أنه ذكر عدة مساجد تزخر بها مصر منها المسجد المنسوب إلى أمير العدل أحمد بن طولون[4] و مسجد السلطان حسن[5]، أما بالنسبة للأضرحة ذكر منها تربة المجاورين من الصالحين، وقد أشار إلى أن هذا المكان سمي بهذا الاسم لقربه من الجامع الازهر وأن به يدفن غالب أهله والمجاورين له، وذكر أن الأماكن القريبة من الجامع كلها تسمى حارة المجاورين[6].

أما من علماء مصر الذين كان يرى العياشي بأنهم من أفاضلها الشيخ أبو الحسن علي الشبراملسي[7]

---

[1]- **المطول**: هو شرح سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت:791هـ/1388م) لمفتاح العلوم للعلامة سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت:626هـ/1228م). ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص:1763.

[2]- **العضد على مختصر ابن الحاجب** : الاشارة هنا إلى كتاب "منتهى السول والأمل في علمي الأصل والجدل" للشيخ الإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بأبن الحاجب المالكي، (ت:646هـ/1248م)، صنفه أولا ثم اختصره، وهو المشهور ب:"مختصر المنتهى ومختصر ابن الحاجب" وقد شرحه العلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت:756هـ/1355م).ينظر : حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص:1853.

[3]- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج2،ص:238.

[4]- المصدر نفسه،مج2، ص: 484.

[5]- المصدر نفسه،مج1، ص: 263 .

[6]- المصدر نفسه ،مج1،ص: 266 .

[7]- **أبو الحسن علي الشبراملسي(ت:1087هـ/1676م)**: ينتسب إلى قرية شبراملسي وبها نشأ و حفظ القرآن، وقد فقد بصره وهو ابن ثلاث سنوات، و واصل تعليمه بعد أن رحل مع والده إلى القاهرة ثم تصدر للإقراء والمشاركة التامة في التلقين والتأليف، ومن أشهر مؤلفاته "حاشية على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" للقسطلاني . ينظر: أبو سالم العياشي ،إقتفاء الأثر، ها: 65، ص:131.

حيث يقول عنه:« من أفرد علماء القاهرة علما وعملا وزهدا وورعا، وتلامذته من أنجب طلبة الجامع الأزهر، وعليه المعول في كشف معضلات العلوم العقلية والنقلية، وليس بمصر من يعادل الشيخ سلطان في فن القراءات»[1].

نلمس من خلال ماسبق ذكره أن العياشي حاول تقديم مجموعة من الأخبار الهامة، في مختلف الجوانب الجغرافية و التاريخية و السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية والثقافية لمختلف الأقطار العربية التي مر بها فإتسمت بذلك بطابع الموسوعية.

[1]- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1،ص:256.

المبحث الثالث : بلاد الحجاز من خلال رحلة العياشي

أخذت بلاد الحجاز قسطا وافرا من رحلة أبي سالم العياشي، حيث قدم لنا معلومات مختلفة عن تلك البقاع المقدسة في مختلف الجوانب الجغرافية و السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية والثقافية، مسهبا في الحديث عن مزاراتها والمشاهد التي تزخر بها.

1-1-المعالم الجغرافية:

ذكر العياشي مجموعة من المشاهد التي تزار ببلاد الحجاز كالجبال التي لها شأن كبير عند المسلمين، قام الرحالة بوصفها وأعطى لمحة تاريخية عنها، وذكر أسماءها المشهورة، منها ما هو محيط بمكة المكرمة كجبل ثور على بعد ثلاثة أميال من مكة، إذ مر السالك إليه فيما بين الخندمة[1] وأبي قبيس[2]، وهو الجبل الذي اختفى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه عند هجرتهما إلى المدينة، وقد أشار العياشي إلى أنه منقطع عن الجبال التي من حوله و مشرف على ما حوله من الجبال[3] ، وجبل حراء الذي يذكر أنه متواجد بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها، وعلى رأسه قبة ترى من المسجد الحرام، والغار في أعلاه من الناحية الغربية الموالية لمكة وهو صغير جدا، يصلي فيه الناس للبركة، وهو المكان الذي قصده الرسول صلى الله عليه وسلم للعبادة فيه[4]، ويعرف الأن أيضا بجبل النور ولعل ذلك تيمنا بنزول أول آيات الذكر الحكيم على النبي صلى الله عليه وسلم[5] في قوله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾[6].

---

[1]-**الخندمة** : اسم جبل بمكة .ينظر: عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواجع، ج2، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، لبنان، ط3، 1983م، ص:512.

[2]- **أبي قبيس** : وهو أقرب الجبال للمسجد الحرام يحيط به من الجنوب والشرق يشرف على الحجر الأسود. ينظر : عواطف محمد نواب، المرجع السابق، ص: 313.

[3]-أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج2، ص:151.

[4]- المصدر نفسه ،مج2، ص:164.

[5]- يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، ص:313.

[6]-سورة العلق : الآية : 01.

وقد ورد في رحلة العياشي أماكن أخرى مجاورة لمكة ينبغي زيارتها منها جدة وهي مدينة كبيرة ممتدة مع ساحل البحر نحو ميلين في كلا طرفيها حصار متقن البناء، فيه مدافع كثيرة وعسكره لا يفارقه، وقد تميزت هذه المدينة بأسواق ممتدة مع جانب البحر، ذات اختصاصات مختلفة وفيها أيضا قهاوي ومجالس حسنة يبالغ أصحابها في تنظيفها[1]، وأيضا الجعرانة تبعد عن مكة بنحو ثمانية عشرة ميلا، ومنها كانت عمرة النبي صلى الله عليهم وسلم[2]، بالإضافة إلى بلد الطائف الذي ذكر العياشي مكانته لما فيه من آثار تدل على فضله فقد نقله جبريل عليه السلام من الأرض المقدسة، وهو عند الشافعية كحرم مكة لا يقطع شجره[3]، و هناك أيضا موضع بسوق مكة يسمى المودع وهو مكان مشرف تظهر منه بعض أستار الكعبة ويقال فيه ودع النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة لما أراد الخروج إلى المدينة في حجة الوداع[4].

أما من المعالم المدينة المنورة التي تحظى باهتمام الرحالة جبل أحد الذي وصفه وصفا دقيقا، حدد ما به من المشاهد والمساجد، كمشهد حمزة بن عبد المطلب فذكر أن: « عليه قبة عالية متقنة وبابه مصفح بالحديد، وحوله بناء متسع فيه بئر وفيه أخلية للوضوء متصلة بالسطح ...و في خارج المشهد بئر أخرى كبيرة، وبإزائها صفة مسجد وتحته ماجل ماء يهبط إليه بدرج وباب المشهد في سائر الأيام مقفل لا يفتح إلا يوم الخميس، يأتي القيم من المدينة بالقصد لذلك »[5].

كما نجد العياشي حرص على ذكر دور بمكة المكرمة خاصة المرتبطة ببداية الإسلام، ولها علاقة بالرسول عليه الصلاة والسلام منها : الدار التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اتخذت مسجدا ومزارا عظيما يجتمع إليه الوفود من كل جانب أيام المولد النبوي[6]، ومولد فاطمة

[1]-أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج2، ص:154.
[2]- المصدر نفسه ،مج2، ص:166.
[3]- المصدر نفسه ،مج2، ص:175.
[4]- المصدر نفسه ،مج2، ص:377.
[5]- المصدر نفسه ،مج1، ص:400.
[6]- المصدر نفسه ،مج1، ص:358.

رضي الله عنها في دار خديجة رضي الله عنها، وأيضا مولد علي رضي الله عنه، ودار أبي بكر رضي الله عنه الذي بقربه حجر في جدار فيه كأثر المرفق يقال أنه مرفق النبي صلى الله عليه وسلم غاصت فيه لما استند إليه الناس يتمسحون به ويتبركون[1]، و قد اتخذت هذه الأماكن مساجد ومزارات ودار الأرقم بالقرب من الصفا وفيها اختفى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد اتخذت مسجدا[2].

أما بالنسبة للمدينة ذكر العياشي الآبار التي ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها أو شرب أو توضأ فاكتسب بذلك فضلا على غيرها فصارت مقصودة بالزيارة والإستشفاء بمائها وهي سبعة : بئر أريس، بئر البصة، بئر بضاعة، بئر حاء، بئر رومة، بئر غرس، و بئر اليسيرة[3].

ويضيف العياشي بئرين آخرين، أحدهما بئر السقيا و هي بالحرة الغربية و حولها بركة عظيمة لورود الحاج أيام نزولهم هناك، وبئر زمزم و هي قريبة من السقيا في حديقة نخل حولها بركة و بناء و سميت بزمزم تشبيها لها بزمزم في التبرك بها وكانت إذ ذاك ملكا لبعض المغاربة المجاورين[4].

أما بالنسبة إلى الأودية فيذكر منها وادي العقيق و هو وادي كبير غربي المدينة وراء الحرة الغربية يأتي سيله من أماكن بعيدة و هو من أعظم المنتزهات عند أهل المدينة، و وادي بطحان و هو يتوسط بيوت المدينة و يلتقي مع العقيق بالغابة حيث مجمع الأسيال، و وادي قناة، و هو من أعظم أودية المدينة سيلا، و يسمى أيضا بالشطاة، و إلى جانب هذه الأودية يوجد وادي رانونا و وادي مذينب و وادي مهزور، و هذه الأودية ترجع كلها إلى بطحان أو إلى قناة[5].

---

[1]-أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ،مج1، ص:359.

[2]- المصدر نفسه ،مج2، ص:377.

[3]- المصدر نفسه ،مج1، ص- ص:409-415.

[4]- المصدر نفسه ،مج1، ص:416.

[5]- المصدر نفسه ،مج1، ص- ص:417-421.

2-الأحوال السياسية:

من الأمور السياسية التي تحدث عنها العياشي في رحلته حسن سيرة الأمراء بمكة المكرمة، فتحدث عن ما شاهده بنفسه من تواضع أمير زيد[1] عندما كان جالس بمنزل تاج الدين المالكي[2] فقال:« .....مر أمير مكة الشريف زيد في موكبه، وله شارة حسنة معه طائفة من الأشراف والجند ذاهبا لرمي الجمار....الناس يحيونه عن اليمين وعن الشمال، فالعوام يقولون في تحيتهم : نصرك الله يا زيد، والخواص يقولون : السلام عليكم، وهو يرد على كل من حياه من وضيع وشريف ولا يهمل أحدا ويشير برأسه إلى كل من حياه، وذلك لشدة تواضعه رضي الله عنه .....»[3].

وقد ذكر العياشي أن إمارة الحجاز قد توارثها هذا الأمير من أسلافه الأوائل حيث قال:« ولم تزل الإمارة في أسلافه منذ أعصار متطاولة، وأسلافه هم المشهورون بآل أبي نمي، وهو بطن من أبي حسن، وإخوانهم بنو حسين لهم إمرة المدينة و ولاية الحجاز الآن بأطرافه...و ليس لبني حسين في ولاية المدينة في هذا الزمان إلا الإسم فقط وبعض تصرف من تحت يد الأمير زيد »[4].

كما تحدث عن السياسة الحسنة لهذا الأمير فقال : « وهذا الأمير من أحسن أمراء عصره سياسة وحسن تدبير.....و من محاسنه أنه لم يقتل أحدا من أهل بيته مع كثرتهم وكثرة خروجهم عليه

---

[1]-**أمير زيد (ت:1077هـ/1666م)**: أمير مكة، تولاها سنة (1041هـ /1631م)، كان عادلا مشفقا على الرعية أزال في أيامه كثيرا من المنكرات، وأبطل ما خالف الكتاب والسنة، إستمر في إمارته إلى أن توفي. ينظر: عارف أحمد عبد الغني، تاريخ أمراء المدينة المنورة (1هـ-1417هـ)، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، (دط)، (دت)، ص ص:345،346.

[2]-**تاج الدين المالكي (ت:1066هـ/1655م)**: إمام الأدباء، الخطيب له رواية في فنون من العلم، تولى القضاء والتدريس والإمامة، له عدد من الرسائل في العقائد. ينظر: محمد مخلوف، شجرة النور، ج1، ص:439.

[3]-أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ، مج1، ص:326.

[4]- المصدر نفسه ، مج1، ص:326.

وسعيهم بالفساد في ملكه»[1]، وهذا ما جعل أهل الحجاز يرون أنهم تحت جناح العافية وفي ظل الأمان مادام حيا .[2]

و إلى جانب ذلك أشار إلى أن أهل بلاد الحجاز كانوا يقدمون الولاء و الطاعة للسلطة العثمانية، وذلك لما سمعه في خطبة الجمعة إذ كان يدعى للسلطان العثماني، ويظهر هذا جليا في قوله: «..... يدعى في الخطبة يوم الجمعة ..... أولا –بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والترضي على الآل و الخلفاء و الصحابة– للسلطان الأعظم ملك الترك، إلا أنهم كانوا يبالغون في تعظيمه بأوصاف لا ينبغي أن يعظم بها أحد من الخلق، خصوصا بحضرة الرسالة، وليس في تلك الأوصاف أحسن و لا أجمل ولا أكمل من قولهم فيه: خادم الحرمين الشريفين، فأكرم بها نسبه.....»[3].

3– الأحوال الإقتصادية والإجتماعية:

لقد قدم العياشي معلومات مفيدة عن النشاط الاقتصادي السائد أنذاك في بلاد الحجاز، فسجل مختلف المعاملات التجارية بأسواق الحجاز، ومن هذه المعاملات نذكر مسألة البيع والشراء وقد وضح ذلك بقوله : « ومن عاداتهم في التعامل بيعا و شراءا أنهم يسمون الأربعين مائديا صرفا، فيقولون عشرة أصرف وعشرين صرفا، يعنون كل أربعين قراطا من القراريط الفضة المسكوكة الصرف كقولنا في المغرب مثقالا، ويقولون للدينار من الذهب المسكوك شريفا وسلطانيا، ويقولون للريال المسكوك من الفضة ريالا وقرشا، ويقولون للقيراط المسكوك محلقا وللصاع الذي به التعامل ربعيا، وبجزءيه ركيله، والصرف بالذهب ويسمون الصروف إذا ذكرت مجموعة ذهبا فيقولون عشرون ذهبا وثلاثون ذهبا يعنون عشرين صرفا من غير قصد إرادة الذهب»[4].

[1]– أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ، مج1، ص ص:326،327.
[2]– المصدر نفسه ، مج1، ص:327.
[3]– المصدر نفسه ، مج1، ص:463.
[4]– المصدر نفسه ، مج1، ص:449.

إلى جانب ذلك أشار إلى إحتكار السماسرة لعمليات البيع والشراء في أسواق الحجاز، وبين أنهم من جالبي السلع والمؤن إلى أسواق الحجاز ويظهر ذلك في قوله : « ومن عادتهم في الشراء من الأعراب الذين يجلبون اللبن و الجبن و السمن و الغنم أن يشتري منهم قوم من الأعراب الساكنون بالمدينة وأطرافها ولهم إسم يختصون به كالبرغازين عندنا بالمغرب، فيدخلونه الأسواق ويشتري منهم أهل المدينة، وهذا من تلقي السلع المنهي عنه، ولكنهم ألفوا ذلك و استمرت عليهم عاداتهم، وألف ذلك القادمون أيضا ولو أن أحدا من أهل المدينة أراد أن يشتري منهم أقل من ذلك، ويركنون إليهم ويميلون إلى قولهم ويعرفون كيفية المساومة معهم، فلا يحتاجون عليهم لقرب الشكل من الشكل وغيرهم ليس بتلك المثابة، فلا يكاد أحد يشتري منهم لحفائهم وغلظ طباعهم، فاستسهل الشراء من البرغازين بربح قليل زيادة على ما اشتروا به من الاعراب »[1].

و مما لاحظه أيضا أن الأسعار مرتبطة كذلك بمواسم الأمطار فقال :« و لم تزل الأسعار على ما تقدم من الغلاء إلى أن هجم الشتاء وقرب زمان الربيع أرخت السماء عزاليها بالأمطار الغزيرة المتوالية، وسالت الأودية ولم يأتي أحد من ناحية إلا حدث بالجود فلانت الأسعار و كثر اللبن والجبن في الأسواق »[2].

وكان للجانب الإجتماعي نصيب وافر من رحلة العياشي وذلك راجع إلى حرصه على الإختلاط بالناس فسجل كل ما يتعلق بأهل الحجاز من العادات التي شاهدها، و في الأغلب الأحيان كان يراها مذمومة خاصة تلك المتعلقة بالنساء نذكر منها تزينهم عند الخروج من منازلهن بقوله :« نساؤهم يبالغون في الستر الظاهر .....إلا أنهم يكثرون من الطيب عند الخروج، فيوجد عرف الطيب منهن من مسافة فيكون ما سترنه ظاهرا أبدينه باطنا »[3].

[1]-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، مج1، ص:453.

[2] - المصدر نفسه ، مج1، ص:456.

[3]- المصدر نفسه ، مج1، ص:385.

أما فيما يخص العادات المتعلقة بالمناسبات نذكر طقوس أهل المدينة يوم الجمعة حيث ذكر العياشي أن :« من عادة أهل المدينة .....في كل ليلة جمعة أن يجتمع الناس بعد صلاة العشاء في آخر أروقة المسجد النبوي الموالي لصحن المسجد، فيأتي جماعة من المنشدين فينشد كل واحد قصيدة أو قصيدتين بصوت رخيم وتطريب وتقسيم والناس محدقون بهم ولهم أتباع يردون عليهم»[1]، و أيضا من عاداتهم يوم الجمعة كذلك «الخروج للبقيع ووضع الرياحين الكثيرة على القبور خصوصا المشاهد المعلومة».[2]

وإلى جانب هذه العادات أشار العياشي إلى أيام تعطيل المدرسين بالمدينة مقارنا ذلك ببلاده المغرب حيث قال:« و من عادة المدرسين بالمدينة أيضا تعطيل القراءة في المكاتب والتدريس يوم الثلاثاء ويوم الجمعة، ويقرؤون فيما سوى ذلك من الأيام خلاف عادتنا بالمغرب من التعطيل يوم الخميس والجمعة »[3].

كما أشار أيضا إلى عادة أهل الحجاز فيما يخص تهنئة بعضهم عند حلول كل شهر جديد مقارنا ذلك بما هو معتاد في بلاده فقال :« و من عادتهم أيضا بمكة و المدينة التهنئة بالشهر، أي شهر كان، خلاف المعتاد لدينا بالمغرب فإن التهنئة عندنا إنما تكون بالأعياد، ولديهم لابد من التهنئة في أول يوم من كل شهر فيذهب كل واحد إلى من له عليه حق بولاية أو شيخوخة أو صحبة حتى يهنيه بشهر في منزله »[4].

و من الآفات الإجتماعية التي سجلها العياشي نذكر آفة الرشوة التي مست المهن الشرعية كالامامة والخطابة والقضاء ويظهر ذلك في قوله : « و الحاصل أن المناصب الشرعية كلها في البلاد المشرقية حجازا و مصرا و شاما، من إمامة و خطابة وآذان و إقامة و قضاء و فتوى و شهادة، بل و

[1]- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ، مج1، ص:439.
[2]- المصدر نفسه ، مج1، ص:439.
[3] - المصدر نفسه ، مج1، ص:441.
[4] - المصدر نفسه ، مج1، ص:441.

وقيد المساجد إنما تنال بالشراء من الولاة، فإذا مات صاحب خطبة أو عزل دفع الراغب فيها مالا للولاة فيولونه مكانه على أي حال كان من صلاحيتة لذلك أم لا، فعظم الخطب على المسلمين والإسلام في ذلك، خصوصا مسألة القضاء فيما رأينا و لا سمعنا في البلاد المشرقية كلها بقاض يقارب الحكم بما يشبه أن يكون شرعا، وإنما مدار أمرهم على الرشا جهارا فينقض الحكم الواحد في اليوم الواحد مرارا متعددة بحسب كثرة الرشا وقلتها ».[1]

4- الأحوال الثقافية:

تميز القرن الحادي عشر للهجرة في وجهه الثقافي و العلمي بظهور حركة فكرية نشطة خاصة في الحجاز، الذي شكل نقطة استقطاب للعلماء والفقهاء والمتصوفة من مختلف ربوع العالم العربي الإسلامي، و قد كان أبو سالم العياشي واحدا من هؤلاء العلماء الذين شدو الرحال بإتجاه الحرمين الشريفين فإلتقى بالعديد من المشايخ الأعلام الذين استفاد منهم في مختلف العلوم، وقد ترجم لهم في رحلته و هم يعدون بالعشرات، فمنهم من لقيهم بمكة المكرمة و نذكر منهم : الشيخ زين العابدين الطبري[2] حيث قال العياشي أنه :«.... لقيته بالمسجد الحرام بإزاء باب السلام، ولقنني وأجاز لي الخرق الثلاث : القادرية [3]و السهرودية[4]و الكبروية[5]، وقد كان أجاز فيها أيضا قبل ذلك .....»[6]، أما من المشايخ الذين إستفاد منهم بالمدينة المنورة نذكر منهم الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن

---

[1]- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ، مج1، ص:456.

[2]- **زين العابدين الطبري (ت:1078هـ/1667م)**: إمام المقام الإبراهيمي نشأ و حفظ القرآن و أخذ عن والده و عن أكابر شيوخ الحرمين منهم عبد الواحد الحصارى المعمر و أجازه جل شيوخه. ينظر : المحبي ، المصدر السابق، ج2، ص:195.

[3]- **القادرية** : نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الكيلاني المتوفي في بغداد سنة (561هـ/1165م) و هو يعتبر عند المتصوفين سلطان الأولياء، وقطب الأقطاب، وعضد الاسلام، وله كرامات و خوارق تنسب إليه يلقب بمولى بغداد، له تآليف منها "لطائف الأنوار". ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4،ص:42.

[4]- **السهروردية** :نسبة إلى السهروردي شهاب الدين يحي بن حبش، العلامة الفيلسوف ناظر فقهاء حلب، مات جوعا في أواخر سنة (586هـ/1190م) بقلعة حلب. ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص:5.

[5]- **الكبروية** : نسبة إلى نجم الدين الكبرى، أحمد بن عمر الخيوقي البغدادي المتوفى سنة (618هـ/1221م). ينظر: اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ،مج1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، (د ط)، 1951، ص:90.

[6]-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، مج1، ص:334.

عبد الرحمن الديبغ اليمني الزبيدي[1] إذ قال العياشي :« أول من قرأت عليه بالمدينة وأخذت عنه الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الديبغ اليمني الزبيدي...»[2].

وقد وقف العياشي عند مختلف الطرق الصوفية المنتشرة ببلاد الحجاز، أو تلك التي إلتقى بأتباعها و أنصارها و حاور المنتسبين إليها فقام بتعريف بتعاليم بعض هذه الطرق و قدم أدبياتها، وسجل بعض المحاورات التي دارت بينه و بين أصحابها و أتباعها و من هذه الطرق التي عرف بها العياشي نذكر الطريقة النقشبندية و هي من الطرق التي نالت إهتمامه ويظهر ذلك من خلال قوله:« وكنت كثير التشوق إلى لقيا أحد من هذه الطائفة لما كنت أرى من محاسن أصحابها و جدهم و اجتهادهم في الكتب المؤلفة في طريقهم فلما اجتمعت بالشيخ جمال الدين أخذت عنه طريق السادات النقشبندية ببيته...»[3].

كما نجد العياشي قد صرح بأن هذه الطريقة غير مشهورة ببلاده المغرب و أنها قريبة من الكتاب والسنة فقال :«و لما كانت طريق ساداتنا النقشبندية – مع نفاستها و ظهور محاسنها ولطيف أسلوبها وجريانها مع الكتاب والسنة– قلما توجد في أرض المغرب، بل لا يعرفها أهله حتى بالإسم لبعد مشايخها، فلم تصل تآليفهم إليه، و لا دخل هذه البلاد أحد من أهلها فيما نعلم، مع إكتفاء أهل المغرب منها و عن غيرها من الطرق بالطريق التي بان رشدها و اتضح أمرها و أمنت غائلتها، وإستقامت أصولها، و جرت مع ظواهر الكتاب و السنة فصولها، طريق القطب الجامع، وشمس المحافل والمجامع الإمام أبي الحسن الشاذلي ....»[4].

---

[1]–**أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الديبغ اليمني الزبيدي** (ت: **1076هـ/1665م**):فقيه محدث جاور بالحرمين الشريفين مدة طويلة تعرف خلالها على عدد من العلماء وأهل الفضل والصلاح. ينظر: أبو سالم العياشي، إقتفاء الأثر، ها: 18، ص:138؛ ا لمحبي، المصدر السابق ، ج3، ص:192.

[2]– أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ، مج1، ص:471.

[3] – المصدر نفسه ، مج1، ص:333.

[4]– المصدر نفسه ، مج1، ص:343.

وقد أشار العياشي إلى إقتراب أصول هذه الطريقة و فروعها و تعاليمها من الطريقة الشاذلية ويظهر ذلك في قوله : « ما طريق سادتنا النقشبندية منها ببعيد، و ما أصولها إلا كأصول عند كل موفق سعيد » وفي قوله : « و من تأمل رشحات النقشبندية و حكم الشاذلية لم يجد بينهما إختلافا إلا في بعض الإصطلاحات الراجعة إلى الأعمال الظاهرة و أما الأعمال القلبية و المنازلات العرفانية فلا فرق أصلا »[1].

أما بخصوص المساجد التي ذكرها العياشي فهي كثيرة موزعة على مختلف ربوع بلاد الحجاز، لكن قبل أن نتطرق للحديث عنها لابد أن نبدأ الحديث عن الكعبة المشرفة، لما لها من مكانة و منزلة خاصة في نفوس المسلمين من ذلك العياشي حيث نجده يقول في هذا الصدد[2]:

فَكَأَنَّـــهُ لمَّـــا بـَدَا مُتَشَمِـراً وَ الطَّائِفُونَ بِهِ جَمِيْعاً أَحْدَقُوا

مَلِكٌ هَمَامٌ نَاهِضٌ لِلِقَاءِ مَنْ قَدْ زَارَهُ وَ لَهُ إلَيْـهِ تَشَـوقٌ

فَتبَادَرَ الغِلْمَانُ رَفْعَ ذُيُولَـهُ حَتَى إذَا رَجَعُوا جَمِيعاً أَطْلَقُوا

ومن أوصافه أيضا للكعبة المشرفة قوله : « صفة البيت العتيق زاده الله شرفا : من داخله بيت مربع، ونقص من الركن الذي عن يمين الداخل مقدار السلم نحو ثلاثة أذرع، يصعد منه إلى السطح، و أرضه مفروشة بالمرمر الملون المجزع، مكسو الحيطان و السقف بكسوة على هيئة الكسوة الخارجة في الصنعة و الكتابة، مخالفة لها في اللون، فإن الخارجة سوداء كلها والداخلة بياض في حمرة، وفيه مصابيح كبيرة معلقة، بعضها من الذهب وبعضها من البلار الأبيض الصافي المكتوب بلون أزوردي.....»[3].

[1]- أبو سالم العياشي ،المصدر السابق ، مج1، ص:343 .

[2]- المصدر نفسه ، مج1، ص:316.

[3]- المصدر نفسه ، مج1، ص:322.

أما بالنسبة للمساجد فقد ذكر العياشي معلومات مفصلة عنها من موقعها ومكانتها وأهميتها وصلاتها بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فمنها ما هو موجود بمكة المكرمة مثل مسجد الجن وهو بأعلى مكة بجانب الطريق بين الدور و فيه شجرة يأوي إليه الفقراء، و يستظلون فيه وهو المكان الذي جاء منه الجن إلى النبي صلى الله عليه وسلم و أسلموا[1].

أما بالمدينة المنورة فقد ذكر إحدى عشر مسجدا نذكر من بينها مسجد قباء كأول مسجد أسس على التقوى، و قد حدد العياشي مكانته في الإسلام، و في خارج المسجد من الناحية الغربية رباط كبير مبني بالحجارة المنحوتة، فيه بيوت كثيرة يسكنها الغرباء، و كان القيم بأمره الشيخ صالح بن أحمد اليمني رضي الله عنه[2].

كما حرص العياشي على ذكر العديد من المزارات المشهورة ببلاد الحجاز و التي لها شأن كبير عند سائر المسلمين فمن بين المزارات الموجودة بمكة المكرمة، قبر ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس وهو موجود بالطائف في قبلة المسجد الأعظم من يمينه، و عليه بناء فخم بالحجون أشار العياشي إلى أن بها مزارات كثيرة، و أشهرها قبة فيها قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها[3].

أما بالنسبة للمدينة المنورة فقد أشار العياشي إلى أن المبرة الموجودة فيها هي من أعظم المقابر على وجه الأرض و ذلك من خلال قوله : « فمقبرة المدينة فلا مقبرة على وجه الأرض أشرف منها بالإجماع، فهي خارجة من الخلاف الذي في تفضيل المدينة على مكة، إذ لا تعلم مقبرة على وجه الأرض مثلما دفن فيها من سادات هذه الامة و أفاضلها من الصحابة، خصوصا الخلفاء و أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، و أولاده و أكابر أهل بيته و سادات التابعين و تابعيهم بإحسان، فهم أول زمرة تحشر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم»[4].

---

[1]- أبو سالم العياشي ، المصدر السابق ،مج1، ص:377.

[2]- المصدر نفسه ، مج1، ص ص:387-388.

[3]- المصدر نفسه ، مج2، ص- ص:175-377.

[4]- المصدر نفسه ، مج1، ص:375.

نخلص من خلال عرضنا أن الرحلة العياشية من كتب التراث التي تفخر بها المكتبة العربية عامة والمغربية بشكل خاص، وذلك راجع إلى الكم الهائل من المعلومات التي وردت في طياتها، فقد أرسى العياشي فن الرحلة بتسجيله ليومياته و ملاحظاته خلال محطات رحلته، بالإضافة إلى أنه أعطى خصوصية لوصف الأماكن المقدسة بتلك البقاع المباركة، و الشعائر الدينية و ظروف المسلمين بموسم الحج إلى غيرها من المحطات اليومية التي سجلها في مختلف الجوانب.

الفصل الثالث

الورتيلاني و كتابه نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار

المبحث الأول: حياة الحسين الورتيلاني

المبحث الثاني: أحوال البلدان العربية من خلال رحلة الورتيلاني

المبحث الثالث: بلاد الحجاز من خلال الرحلة الورتيلانية

المبحث الأول: حياة الحسين الورتيلاني

1- نسبه ومولده:

ينتمي الرحالة الجزائري الشيخ الحسين بن محمد السعيد المعروف بالورتيلاني- نسبة إلى قبيلة بني ورثلان- قرب بجاية[1]، إلى أسرة عربية شريفة التي يعود أصلها إلى تافيلالت[2] بالمغرب الأقصى ويظهر ذلك من خلال قوله: «ومن إخواننا الشرفاء الزابر لهذه الرحلة العبد الضعيف الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر أحمد الشريف نجل الشيخ الولي سيدي علي البكاي البجائي، هكذا ثبت بخط جده و هو ثقة، وأصله من تافيلالت أي من شرفائها»[3].

ويبدو من خلال ما أورده الورتيلاني في الرحلة عن شجرة نسبه[4]، أنه قد اختلط عليه الأمر ولم يضبط نسبه كاملا، حيث يذكر لنا أن جده أحمد الشريف كان له ولد وهو يحي، وقد مكث في مجانة عشرين سنة لسبب ما لم يذكره أيضا، بينما نجده عند التعريف بإسمه الكامل كما سبق، يغفل هذا الجد من شجرة نسبه[5].

---

[1]- عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005 ، ص: 143.

[2]- **تافيلالت**: إحدى القبائل العربية التي إستوطنت المغرب الأقصى والتي يصل نسبها بالحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ينظر: مختار بن طاهر الفيلالي، رحلة الورتيلاني عرض ودراسة، دار الشهاب للطباعة و النشر ، الجزائر ، (دط) ، 1978 ، ص: 12.

[3]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص: 177.

[4]- الملاحظ من الرحلة أن الحسين الورتيلاني كان يعتز بنسبه الشريف فهو يذكره في مناسبات عدة من رحلته، حتى وإن لم يكن المقام يستدعي ذلك كقوله: " الشرفاء في بوجليل فإنهم أهل فضل وبركة وعناية، وقد إجتمعنا معهم في الجد الأعلى والشرف على ما كنا نسمعه من أعالي أسلافنا". المصدر نفسه ،مج1، ص: 57.

[5]- مختار بن طاهر الفيلالي، المرجع السابق ، ص: 14.

وقد هاجر الجد الأكبر لهذه الأسرة من تافيلالت واستقر في بجاية[1]، آنذاك نظرا لإزدهارها بالعلم والعلماء والمفكرين، حيث كانت تمثل إشعاع علمي وحضاري إبان العصور الوسطى[2]، فاشتهرت الأسرة بهذه المنطقة بالعلم والتصوف والتدريس والتأليف والإفتاء والإصلاح، وقد ظهر منها علماء وفقهاء أجلاء كجد المترجم له الذي ظل طوال حياته مدرسا، كثير الإطلاع والبحث في الكتب حفاظا لها، ناسخا للكتب الهامة منها في كل لياليه، وكان يفتي الناس دون مقابل لذلك، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء[3].

وأبيه الذي كان في غاية الإتباع أكثر من جده، تؤخذ السنة من كلامه وأفعاله، إذ كان متضلعا في التوحيد، والتصوف، والفقه، ومحققا فيه، حيث نذر نفسه للتدريس بزاويته فأخذ عنه الكثير من الطلاب الذين تولى بعضهم مناصب الإفتاء والقضاء ببجاية وغيرها[4].

ويذهب صاحب الرحلة إلى أن جده قد جاء من ميلة وصاهر أسرة محمد أمقران حاكم منطقة قنزات وأصبح شيخ علم معترفا له وأسس نفوذ الأسرة الروحي في المنطقة حتى أنه بعد أن توفي أقيمت له قبة باعتباره من كبار المرابطين، وهكذا اجتمع في أصول الورثيلاني الدين والدنيا: الدين عن طريق جده ووالده الذين كانا أيضا من المرابطين، والدنيا عن طريق أخواله أولاد أمقران الذين كانوا حكاما ورجال سيف[5]؛ وكانت هذه الأسرة تتمتع بأملاك كثيرة[6].

---

[1]- الملاحظ أنه لا الورتيلاني ولا غيره من مترجميه وضح متى هاجرت هذه الأسرة واستقرت ببجاية. ينظر: مختار بن طاهر الفيلالي، المرجع نفسه، ص: 13.

[2]- مختار بن طاهر فيلالي، المرجع السابق، ص: 13.

[3]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص: 181.

[4]- مختار بن طاهر فيلالي، المرجع السابق، ص: 11.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 394.

[6]- من بساتين مثمرة كالزيتون والتين والعنب وأراضي الحرث، وقد ملك بعضها عن طريق الشراء، وبعضها الآخر وهبت له أو للزاوية كحبوس من طرف أتباعه وموردية للمعتقدين في ولايته، وتوجد هذه الأراضي والبساتين في أماكن مختلفة، منها في بني ورتيلان، وبني يعلي وغيرها، وكانت له سبع مطاحن بالماء في منطقة الدراوات، ينظر: مختار بن طاهر فيلالي، المرجع السابق، ص: 18.

وقد وصف الحفناوي الحسين الورثيلاني في كتابه تعريف الخلف برجال السلف بأنه: «هو الإمام العالم العامل العلامة الكامل الأستاذ الهمام شيخ مشايخ الإسلام ..... الشريف النوراني»[1].

ولد عام (1125 هـ/1713م)[2] بقرية أنو بجوار قرية بني ورثلان[3]، وكان الشيخ الحسين مالكي المذهب أشعري الإعتقاد[4] شاذلي الطريقة، إذ كان لا يهتم باللباس ولكنه كان يبدي إهتماما بأحوال الدنيا، كما كان يكره أهل الحضر والحكام العثمانيين، وأصبح كمرابط يتدخل بين الناس بالإصلاح ذات البين ويعلم مبادئ الدين التي حرفها البعض عن مواضعها، ورغم غلبت روح التصوف على الورثيلاني أكثر من الروح الفقهية، فقد كان يجمع بين علوم الظاهر والباطن[5].

2- تعلمه ومشايخه:

بدأ الورتيلاني يتلقى تعليمه، في زاوية أسرته ببني ورثلان حيث حفظ القرآن الكريم على يد معلمه يوسف بن بشران[6]، وتعلم الفقه والنحو والتصوف والتوحيد، وذلك إقتداءا بأبيه محمد السعيد وجده الحسين محمد الشريف الورتيلاني الذين كانا متضلعين في العلوم الشرعية[7]، ولم يكتفي الحسين الورتيلاني بالعلوم الشرعية فحسب، بل إعتنى بدراسة اللغة والأدب والعروض والتاريخ فأصبح من

---

[1]- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، بيرفونتانة الشرقية، الجزائر، 1966، ص: 133.

[2]- مخلوف، شجرة النور، ج2، ص: 357؛ إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون غراسا في الكتب والفنون، ج2، دارإحياء التراث العربي، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص: 392؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 340؛ مختار طاهر الفيلالي، المرجع السابق، ص: 14.

[3]- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 1، 1995، ص: 44.

[4]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص: 16.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 394.

[6]- لم يذكر الورتيلاني من مشايخ بلده الذين أخذ عنهم إلا القليل منهم: الشيخ علي بن أحمد بن عبد الله الذي أخذ عنه الألفية، والشيخ يحي اليعلاوي تلميذ جده الحسين، والشيخ أحمد زروق بن أحمد بن الشيخ العنابي صاحب المؤلفات العديدة. ينظر: مختار بن طاهر فيلالي، المرجع السابق، ص: 19.

[7]- سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص: 67.

علماء المنطقة البارزين، ومن الذين يدين لهم الناس بالطاعة الروحية والإحترام[1]، وبعد أن استنفذ ما عند شيوخه في الجزائر[2] من علوم و معارف شد الرحال إلى خارجها، لطلب العلم

والمعرفة كذلك، فزار تونس على أمل الذهاب إلى الحج، ولكن لم يوفق فاغتنم الفرصة وتعرف على عدد من العلماء[3]، ودرس على البعض منهم عبد الله السوسي[4].

كما أن الشيخ الحسين الورتيلاني قام بثلاث رحلات حجازية، الأولى صحبة والده وهو إبن 18 سنة في سنة (1153هـ/1740م)، والثانية عندما بلغ الواحدة والأربعين سنة (1166 هـ/1752م)، والثالثة في سنة (1179هـ/1765م)، و استغرقت الأخيرة ثلاث سنوات، حيث امتدت إلى سنة (1181هـ/1765م)، و استغرقت الأخيرة ثلاث سنوات، حيث امتدت إلى سنة (1181هـ/1767م)[5].

وقد أتاحت له هذه الرحلات أن يوسع ثقافته، ومداركه، وتجاربه ويحصل على زاد ثقافي واسع، حيث حرص فيها على مقابلة علماء عصره و لاخذ عنهم بالحجاز ومصر؛ فدرس على يد الشيخ أحمد الاشبيلي بعض "مختصر السعد في البيان" بالحرمين الشريفين[6]، وبالأزهر أخذ على الشيخ

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 394.

[2]- زار الحسين الورتيلاني مناطق خارج قريته منها بجاية، الجزائر العاصمة، وتلمسان، مليانة، البليدة، بسكرة، سيدي خالد، قسنطينة وغيرها للتبرك بالأولياء والصالحين وللإستزادة ما أمكن من العلوم والمعارف. ينظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 45.

[3]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 45.

[4]- **عبد الله بن محمد السوسي (ت:1169هـ/1755م)**: هو السكتاني نسبا، المسكاتي دار ومنشأ، التونسي إقامة ومدفنا، المالكي، جيد المعرفة بالنحو والبيان وبعلم الفقه والحديث والكلام. ينظر: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ص: 750؛ محمد بن مخلوف، شجرة النور، ص: 497.

[5]- عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 14.

[6]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج2، ص: 108.

عمر الطحلاوي (ت:1181 هـ/1767م)[1] "الرسالة الوضعية"، وبعض "تفسير ذي الجلالين"، وسمع الشيخ الزياتي الشافعي بعض المسائل في النحو، وحضر عليه دروسا في "المحلي"، أما الشيخ سالم النفزاوي (ت: 1168هـ/1754م) قرأ عليه مدة "مختصر السعد" وذلك في حجته الأولى[2]، إضافة إلى الشيخ الصباغ الإسكندري (ت:1163هـ/1749م)[3] و غيرهم.

وتحصل على إجازات علمية وأخرى صوفية، من علماء مصر، وبعضهم أجازه أكثر من مرة[4]، كالشيخ محمد البليدي (ت:1176هـ/1762م)، الذي حضر له بعض الدروس في الرسالة في حجته الأولى، ولما اتصل به في حجته الثانية، أجازه في العلوم كلها، وكتب له ذلك بخط يده[5].

وأجازه أيضا الشيخ الإمام العمروسي (ت:1173هـ/1759م)، غير أن الإجازة كتبها بعض تلامذته بإذنه، وقد ختمها وكتب على ذلك بخط يده، والشيخ الخليل المغربي الذي قرأ عليه القطب على الشمسية "التصورات والعكوس والتناقض"، بحاشية السيد عليه، فأجازه بخط يده في سائر العلوم، والشيخ الملوي (ت:1181هـ/1767م) الذي أجازه هو الآخر في سائر العلوم[6].

وخلال زيارته لشيخ علي الصعيدي (ت:1189هـ/1775م) كتب له إجازة في جميع العلوم، وقد حضر مجلسه في الفقه في مختصر خليل، بشرح الشيخ الخرشي (ت:1099هـ/1687م) وباحثه في بعض المسائل الفقهية في مجلس إقرائه، وتمكن من إقناعه بوجهات نظره، ويظهر ذلك في قول العياشي: «فسلم –رضي الله عنه– على يدي وقبلها وصار بعد ذلك لا يكتب قوله على الشيخ

---

[1]– **عمر الطحلاوي (ت:1181هـ/1767م)**: أخذ عن جملة من الأئمة كسالم بن أحمد النفزاوي، تصدى للدريس والفتوى وانتفع الكثير منه. ينظر:المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج3، دار ابن الحزم، لبنان، ط1، 1988 ، ص: 193.

[2]– الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، ص ص: 104، 105.

[3]– المصدر نفسه، ص:111.

[4]– فوزية لزغم، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1515–1830)، دار سنجاق الدين للكتاب، (دط)، 2009، ص:331.

[5]– الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج2، ص: 88.

[6]– المصدر نفسه، مج2، ص: 89.

الخرشي الا بعد أن يعلمني بالبحث فيها كما أجازه في التأليف بعد شرحه على الخطبة المسمى بمقدمة شرح السنوسي على صفراه»[1]، وزار كذلك الشيخ علي الفيومي (ت:1136هـ/1723م) وحصل منه على إجازة، ولا يستبعد أنها إجازة صوفية لأنه من رجال التصوف[2]، يلقن أذكار الشيخ البدوي، ويلبس الخرقة[3].

ومن شيوخه الذين أجازه أيضا الشيخ عبد الوهاب العفيفي[4] المتصدر لتربية المريدين، فأخذ عنه الأذكار، وجدد عليه العهد في الطريقة الشاذلية، وأجازه إجازة مطلقة في سائر العلوم العقلية والنقلية[5].

و الشيخ محمد الحفناوي[6] (ت:1181هـ/1767م) الذي كان جامع بين الحقيقة والشريعة فحضر الورتيلاني مجلسه عند اقرائه "الرحبية" بالشنشوري ولقنه الذكر على طريقة أشياخه، وأذن له في الإعطاء والإذن، وكتب له إجازة بخط يده في المعقول والمنقول[7]، وممن أخذ عنهم القراءات السبع إفرادا الأستاذ أبو القاسم الربعي القسنطيني إذ قرأ عليه سورة البقرة والفاتحة، فأجازه هو الآخر[8]،

---

[1]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق مج2، ص ص: 90، 91، 92.

[2]- فوزية لزغم، المرجع السابق، ص: 334.

[3]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج2، ص: 94.

[4]- **عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد بن حجازي ابن عبد القادر الشهير بالعفيفي (ت:1172هـ/1758م)**: أخذ عن أحمد بن مصطفى الاسكندري الشهير بالصباغ وسالم بن أحمد النفزاوي وأخذ الطريقة الشاذلية عن محمد التهامي، ومن كراماته أن العلامة عيسى البراوي رآه في عرفات حين حج مع أنه لم يخرج من مصر. ينظر: المرادي، المصدر السابق، ج3، ص ص: 143، 144.

[5]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق ،مج2، ص ص: 94 ، 95.

[6]- **محمد الحفناوي (ت:1181هـ/1767م)**: اشتغل بالعلم وأخذ الطريقة الخلوتية عن القطب مصطفى بن كمال الدين البكري، وتربى على يده وألف التآليف النافعة منها حاشية على شرح الهمزية لإبن حجر. ينظر: المرادي، المصدر السابق، ج4، ص: 50.

[7]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج2 ، ص: 101.

[8]- المصدر نفسه، مج2، ص: 112.

ويظهر أنها إجازة رواية بالقراءات القرآنية، لأن الإجازة التعليمية بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية تتطلب قراءة القرآن الكريم كله، ولا يتحصل عليه الطالب إلا بعد إجراء إمتحان[1].

3- تدريسه وتلاميذه:

تصدى الوتيلاني للتعليم في زاوية أسرته، وكان يتوجه إلى بجاية في شهر رمضان من كل سنة قصد الرباط، والتدريس والقيام بالوعظ والإرشاد، وذلك منذ صغره، وكان محبوبا ومكرما فيها[2]، حيث يقول:« ... غير أنهم لما أكدوا عليا ذهبتوا معهم إلى زيارتها –بجاية– لأنني محبا فيها غاية، وذلك قبل بلوغي، وكنت كل عام أصوم رمضان ناويا للرباط مع تعليمي الطلبة، راجيا أن يكون لي حظا وافرا منه، ونصيب كامل من عندهم.....»[3]، فاشتهر أمره فكان مقصد الطلبة والزوار من مختلف الجهات[4].

وقد ذكر لنا بعض طلبته الذين درسهم الفقه والتوحيد، ومنهم محمد السكلاوي الجزائري الذي درس عن الورتيلاني "كبرى الشيخ السنوسي بالشيخ اليوسي"[5]، والشيخ محمد بن الفقيه محقق في علم الكلام وقد درس عنه أيضا "الصغرى للسنوسي" قرأها عليه قراءة تحقيق بحاشية المحقق المراكشي[6]، وأبو القاسم مدور من بني عباس من قرية "تفرج" وهو قاضي من بجاية[7].

[1]- فوزية لزغم، المرجع السابق، ص: 334.
[2]- مختار بن طاهر فيلالي، المرجع السابق، ص: 25.
[3]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق ،مج1 ، ص:43.
[4]- عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 144.
[5]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص: 61.
[6]- مختار بن طاهر فيلالي، المرجع السابق، ص: 23.
[7]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص: 115.

ومن تلامذته أيضا عبد القادر بن أحمد وهو من أولاد الشيخ سيدي الموهوب، ومحمد الجوادي، ومحمد بن خروف[1]، وأغلب هؤلاء الطلبة سافروا معه إلى المشرق ودرسوا بالأزهر وتونس حيث ظلوا ملازمين له.

أما تونس فقد كان يعقد فيها حلقات بحث مع المشايخ والطلبة في كل من سفاقص وقابس في مختلف العلوم، ولقي عدد كبير من العلماء الأجلاء وربط صلة المتينة بهم منهم: الشيخ الهادي السوسي، والشيخ الغرياني، والمفتي ابن محجوبة، والشيخ حمودة ابن عبد العزيز، والشيخ حسن الترجمان، وأحمد السوسي، وأحمد التجاني، وأحمد الباهي وغيرهم، كلهم من مشايخ جامع الزيتونة[2].

4- آثاره و مؤلفاته:

كتب الورتيلاني وألف في عدد من الأغراض والمضامين، وشرح وعلق على مؤلفات غيره في الفقه والحديث، والتصوف، والتوحيد لكن ضاع أكثرها.

فمن مؤلفاته: شرحه على الخطبة المسمى" بمقدمة شرح السنوسي على صغراه" و"حاشيته على شرح السكتاني المراكشي على صغرى السنوسي" و "شرحه كبرى الشيخ السنوسي بالشيخ اليوسي"[3]، و"شرح على وسطى السنوسي في التوحيد"[4]، وشرح القدسية للأخضري في التصوف، المسماة "الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية"[5]، وشرح على وظيفة الشيخ يحي العيدلي، و"شرح النوري في العقائد"[6]، و "حاشية على كتاب المرادي"[7].

---

[1]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق ، مج1، ص: 142.

[2]- مختار بن طاهر فيلالي، المرجع السابق، ص: 24.

[3]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص ص: 86، 87.

[4]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 46.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 130.

[6]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص: 17.

[7]- رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، (دراسة تحليلية نقدية)، دار الملكية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2005م، ص: 66.

ومن مؤلفاته أيضا رسالة في شرح: " وقفت بساحل وقفت الأنبياء دونه"[1] وقصيدة ميمية في نحو 500 بيت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على وزن البردة[2]؛ وأهم هذه المؤلفات كتاب الرحلة الورتيلانية الموسومة بـ:"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" التي تعد من أهم الرحلات الجزائرية، إعتنت بتسجيل الأخبار الجغرافية، والتاريخية، للبلدان العربية، ومن أسباب تأليف هذه الرحلة وعي الورتيلاني بمشكلة نقص التأليف في بلده الجزائر والإهتمام بالتاريخ في هذه الديار فأراد أن يؤلف في هذا العلم الشريف[3]، حيث قال في هذا الشأن« .... لا سيما أهل بلادنا، فإن علم التاريخ منعدم فيهم، وساقط عندهم فيحسبونه كالإستهزاء، أو اشتغالا بما لا يعني أو من المضحكة المنهي عنها»[4].

وخلاف لهذا الرأي وجد الورتيلاني أن علم التاريخ علم جليل، بالغ الأهمية وعظيم الفائدة، ومنه جاء علم السير، أي بسير الأنبياء، و وقائعهم، و قصصهم و نجد منها الكثير في القرآن الكريم[5]، وتكمن أهمية الأخبار التاريخية في نظر المؤلف في أنها :"موعظة للمعتبرين وتذكرة للموقنين وتبصرة للمتفكرين"[6]وهذا مادفعه إلى تأليف الرحلة ويظهر ذلك في قوله: « .... فإني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار والرباع والقفار والديار والعلماء والفضلاء والنجباء والأدباء من كل مكان من الفقهاء والمحدثين والمفسرين الأخبار، والأشياخ العارفين والإخوان والمحبين المحبوبين من المجاذيب المقربين والأبرار، من المشرق إلى المغرب ..... أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي،

[1]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 46.

[2]- عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 144.

[3]- سميرة أنساعد، صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني، ضمن مجلة: التراث العربي، تصدر عن إتحاد الكتاب العربي، دمشق، ع: 97، 2005، ص: 34.

[4]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق،مج1، ص: 294.

[5]- سميرة أنساعد، رحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص: 69.

[6]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق ،مج1، ص: 294.

فإنها تزخر بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار، مبينا فيها بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية....»[1].

وقد كتب الورتيلاني رحلته بيده ولكنه أملاها على تلاميذه كما جرت عادة المشايخ عندئذ ولذلك تعددت نسخها وكثر فيها الخطأ، كما افتقرت إلى المنهج القويم، وامتلأت بالإستطرادات والتكرار[2].

وتكتسي هذه الرحلة أهمية كبيرة نظرا لقيمة المعلومات التي إحتوتها، حيث قدمت لنا صورة مكتملة عن الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية التي ميزت عصره، فضلا عن الأخبار المتعلقة بتاريخ المغرب وبعض بلدان المشرق التي زارها[3]، وزيادة على ذلك إحتوت هذه الرحلة على مصادر معرفية قيمة منها: رحلة العياشي، رحلة أحمد بن ناصر، و رحلة التجاني[4].

5- وفاته:

توفي الشيخ الحسين الورتيلاني (1193هـ/1779م)[5] بمسقط رأسه أنو، ودفن في مقبرتها[6] إلا أن الحفناوي لم يتعرض لتاريخ ولادته، كما أنه لم يحدد تاريخ وفاته، وإنما قال:« وأما وفاته رحمه الله فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه يعيش إلى السنة العاشرة من القرن الثالث عشر فتكون وفاته كما أخبره الصادق المصدوق.....»[7].

---

[1]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق ، ص- ص: 34- 36.

[2]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (دط) ، 1990، ص: 188.

[3]- عبد القادر بوباية، اسهام محمد ابن أبي شنب في تحقيق التراث التاريخي العربي، ضمن مجلة: المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، ع: 9، 2014، ص: 288.

[4]- الحسين الورتيلاني، المصدر السابق ، صفحات متفرقة.

[5]- محمد مخلوف، شجرة النور، ج2،ص:357 ؛ طاهر بن مختار الفيلالي، المرجع السابق، ص: 15 ؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص:314.

[6]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص:47.

[7]- أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ص ص: 134، 135.

المبحث الثاني : أحوال الدول العربية من خلال الرحلة الورتيلانية

تعد الرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار من أشهر الرحلات الحجازية في الجزائر و ذلك لإحتوائها على معلومات قيمة ، حيث نقل لنا من خلالها الشيخ حسين الورتيلاني مشاهداته وملاحظاته الخاصة عن القرى و المدن ، و عادات و تقاليد المناطق التي مر بها ، و عن العلماء الذين لقيهم و درس عندهم ، و كثيرا من المواضيع التي تناولها في رحلته إلى البقاع المقدسة .

1-الملامح الجغرافية والتاريخية :

لقد حاول صاحب الرحلة من خلال رحلته، أن يمدنا بمعلومات وافية، عن الملامح الجغرافية والتاريخية ، للأقطار العربية التي زارها و نزل بها انطلاقا من وطنه.

1-1- الجزائر :

أعطى لنا الشيخ الحسين الورتيلاني وصفا دقيقا لبعض المدن و القرى التي زارها في بلاده منها قسنطينة [1]، التي وصفها بأنها مدينة قوية ليست كبيرة جدا، و لا صغيرة أيضا، عليها سور كبير و فيها أبواب ثلاث : باب الوادي و باب الجابية و باب القنطرة ، و فيها بويب صغير يخرج منه الآدمي و أشار إلى أن هذه المدينة مبنية على كهف و جرف عظيم يكاد من سقط منه أن يهلك بل يموت قطعا [2].

و من المدن التي وصفها أيضا بسكرة التي قال عنها :«مدينة قاهرة البنيان ، لها أبواب : باب المقبرة ،و باب الحمام ، و باب ثالث يسكنه المولدون»[3] و غيرها من المدن و القرى التي وصفها .

---

[1]- **قسنطينة** : مدينة قديمة بناها الرومان ، أسوارها عتيقة عالية سميكة مبنية بالحجر المنحوت المسود، و هي واقعة على جبل شاهق و محاطة من جهة الجنوب بصخور عالية. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 55.

[2]- الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج3 ، ص ص: 353.352.

[3]- المصدر نفسه ، مج1، ص: 199-212.

و كغيره من الرحالين لم يغفل عن الحديث على الأماكن التي تتواجد بها المياه، ففي قسنطينة ذكر بأنها:«محصنة تحتها واد كبير و ماؤها عذب، منه يشربون إذ ينقلون ماءه إلى الديار و فيه يسقون ويستسقون و يغسلون و يغتسلون، و عليه بنيت من قديم الزمان »[1].

أما بسكرة فقال:« أن مياهها كثيرة بين و خلال البيوت، فكل باب عنده ساقية من الماء، تجري من ماء حلو كالعسل و فيها آبار كثيرة عذبة، و يشرب سكانها من نهر كبير يجري في جوفها، ينحدر من جبل أوراس»[2].

أما بالنسبة لتاريخ المدن التي زارها في بلاده لم يتطرق الى تاريخها ماعدا مدينة قسنطينة التي أشار بأنها تعود إلى عهد سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام.[3]

1-2- تونس :

لقد تطرق الورتيلاني كذلك في مدينة تونس الى وصف المناطق التي مر بها منها توزر حيث قال: «أنها بلدة عظيمة من قواعد الجريد بناؤها شامخ مستحسن مرونق ، فهي أفضل من بسكرة لأن بناءها بالطوب، وهي بناؤها بالآجر و الجير و الجبس، في غاية الإتقان، مع طول البنيان إلى العلو وسعة عرضه»[4] .

و من المدن التي وصفها أيضا مدينة سوسة[5] ذكر: « أنها بلدة طيبة قريبة من حاضرة تونس لها سور عظيمة و بنيانه جسيم و هي محكمة منضبطة على شاطئ البحر فيها مرسى مثل صفاقس »[6].

---

[1] – الحسين الورتيلاني ،المصدرالسابق ، مج3، ص ص: 352،353.

[2] – المصدرنفسه ، مج1، ص- ص: 199-212،213.

[3] – المصدرنفسه ، مج3، ص: 353.

[4] – المصدرنفسه ، مج1، ص ص: 259،260.

[5] –**سوسة** : مدينة كبيرة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط على بعد مائة ميل من تونس، فيها قصبة كبيرة حصينة، و المدينة نفسها أنيقة و موقعها حسن. ينظر : الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2، ص: 83.

[6] – الحسين الورتيلاني، المصدرالسابق ، مج3، ص: 309.

و قد وصف مدينة الكاف كذلك بأنها:«مدينة متوسطة ليست كبيرة جدا و لا صغيرة فهي حد مدائن تونس و لا مدينة بعدها و هي الفصل بين تونس و عمالة الجزائر»[1].

كما أنه لفت انتباهه كثرة المياه بها ففي قرية الحامة[2] مياه عظيمة طيبة، و فيها حمام يجري ماؤه قوي بحيث عم غالب القرية، و ماؤه حار، كأنه تحت نار عظيمة، بحيث من أراد الإغتسال فيه لا يقدر على ذلك ، لشدة سخونته، و كذلك أشار الورتيلاني الى أن مدينة توزر «قوية المياه فيها أنهار و ماؤها عذب ، و ينساب فيها واد كبير ، منبعه من غربيها»[3] و غيرها من المدن التي تحدث عن كثرة المياه بها.

أما عن تاريخ مدينة تونس فقد فقال:« بأنها مدينة إسلامية أحدثت عام ثمانين من الهجرة وهي قاعدة البلاد الإفريقية، و أم بلادها و حضرة السلاطين»[4]،كما تحدث عن تاريخ القيروان عندما توقف في منطقة سيدي عقبة ببسكرة حيث ذكر تاريخ النزاع على المدينة أثناء الفتح الاسلامي، والإستيلاء عليها من طرف كسيلة ردحا من الزمن ثم انسحابه منها مرة أخرى.[5]

1-3- طرابلس :

وصف صاحب الرحلة عند دخوله إلى طرابلس العديد من المدن التي زارها من بينها، مدينة طرابلس معتمدا في ذلك على ما ورد عن الشيخ محمد بن علي شارح السقراطية ناقلا عن البكري

[1]-الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج3، ص:346 .

[2]-**الحامة** : مدينة عريقة في القدم ، بناها الرومان داخل الأراضي على بعد نحو خمسة عشرة ميلا من قابس، يحيط بها سور مبني بالحجر الضخم المنحوت نحتا جيدا أما أراضيها فوعرة جافة. ينظر : الحسن الوزان، المصدر السابق ، ج2، ص: 92.

[3] -الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص ص: 259،260،261.

[4] -المصدر نفسه ، مج3، ص: 328 .

[5] -المصدر نفسه ، مج1، ص: 215.

«.....و على مدينة طرابلس سور ضخم جليل البناء و هو على شاطئ البحر ، و فيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون، و مرساها مأمون من أكثر الرياح »[1].

ومن المدن التي وصفها كذلك ساحل حامد و التي وصفها بأنها: «بلدة طيبة ذات عمارة يبدوا حسنها للرائي، و هي في رأى العين لا نظير لها، فإن المرء إذا وصلها زال عليه الهم و النكد، لأن رؤية الخضرة و البر و الوجه الحسن تزيل الهم عن القلب، و تفرج الغم عن الصدر »[2].

كما أنه أشار الى كثرة الأودية الموجودة فيها كواد الرمل[3]« و هو واد متسع ماؤه لا ينقطع في جميع الأزمنة الأربعة مبدؤه من الجبل قاطعا إلى البحر»[4].

وأشار كذلك الى المناطق التي يقل بها الماء كمقطع الكبريت التي قال عنها أنها : « قليلة ماء الشرب ، قل أن يسلم منه الناس لقلة مائه و مرارته على تقدير وجوده ».[5]

أما بالنسبة لتاريخ هذه المدينة —طرابلس– فقد تحدث عنها منذ أن غزاها عمر بن العاص سنة ثلاث و عشرين هجري إلى خروج الروم منها ثم دخول الأتراك إليها و صراعهم مع النصارى.[6]

1-4- مصر :

قدم الحسين الورتيلاني عند حلوله بمصر وصفا دقيقا لها للآبار و الأودية الموجودة بها ناقلا ذلك عن أبي سالم العياشي .[7]

---

[1] – الحسين الورتيلاني، المصدر السابق ، مج1، ص:296 .

[2]- المصدر نفسه ، مج3، ص ص: 350،351.

وادي الرمل: و هو واد متسع عذب الماء لا ينقطع ماؤه في شتاء و لا صيف و مبدؤه من الجبل قاطعا الى البحر. ينظر : عبد الله

[3] –التجاني ،المصدر السابق ، ص: 310.

[4] –الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص– ص: 342 – 345.

[5]-المصدر نفسه ، مج3، ص: 414.

[6] –المصدرنفسه ، مج1، ص– ص: 297– 309، 310.

[7] –المصدر نفسه ، مج2، ص– ص: 23– 168.

أما عن تاريخها فيبدوا أن الورتيلاني على دراية واسعة بتاريخ هذا البلد حيث أسهب في الحديث عنه منذ نزول أولاد آدم عليه السلام الى دخول عمر بن العاص في الجاهلية إلى الإسكندرية كما تحدث عن تاريخها و عجائبها في البناء و اختلاف أهل التاريخ في نشأتها فقيل أنها من بناء الإسكندر.[1]

2-1الأحوال السياسية :

كان للشيخ الحسين الورتيلاني موقف من نظام الحكم الذي كان سائد آنذاك، و المتمثل في الحكم التركي حيث أشار الى جور و ظلم الولاة في البلدان التي مر بها .

ففي الجزائر ذكر بأن وطنه خال من السلطان و أحكامه فالوطن سائب عمره لله بأحكام الشرعية[2] و أشار إلى مدينة قسنطينة كذلك قائلا :« عساكرها كثيرة تنفذ منها للجزائر أموال عظيمة من المغرم و مددها قوي و ظلمها كثير»[3].

أما بالنسبة لمدينة تونس قال: « إن ظلم الولاة الأتراك و جورهم فيها قد شاع حيث أنهم كانوا يعطون ستة نواصر على كل نخلة، و أربعة على كل زيتونة، و النصاري، إسم لسكة عندهم معروفة، إثنان و خمسون في كل ريال، لكل عام و قال أنه أخبره بعض الشرطين أن خراج الجريد من نفطة الى قابس خمسمائة ألف ريال لكل عام، و خراج جربة وحدها ستون ألف، و مؤنة مائتي صبايحي من البر و الأرز و السمن و الخل و اللحم، فالله تعالى يقطع جور الجائرين و لا يصلح عمل المفسدين »[4].

[1]-الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج3، ص- ص: 169 - 175 - 178 .
[2]- المصدر نفسه، مج1، ص: 87.
[3] -المصدر نفسه، مج3، ص: 353.
[4]- المصدر نفسه، مج1، ص ص:261 ،262.

وعن مدينة طرابلس أشار إلى الفتنة التي حدثت بين العرب و أولاد الترك و قبائل شتى ، لما فسد رأيهم و تقوى فيهم الإهمال، و ضعف فيهم حكم السلطان اضرمت فيهم الفتنة و عظم فيهم الهرج و ساروا إلى القتال و انقسمت عليهم الأعراب و أن السلطان رأى لهم ذلك لأن فيهم العمال و القواد و أرباب الدولة[1].

كما أشار كذلك الى ظاهرة ظلم الولاة و جورهم في مصر و ذلك نقلا عن العياشي[2].

3-الأحوال الإقتصادية و الإجتماعية :

لم تخلو رحلة الشيخ الحسين الورتيلاني من الحديث عن الأحوال الإقتصادية و الإجتماعية للبلدان التي زارها، فقد ذكر الأسواق و الدكاكين التي كان تزخر بها تلك البلدان ،كما أنه لم يغفل كذلك عن الحديث على العادات و التقاليد التي وجدها سائدة في تلك الشعوب و المجتمعات .

3-1- الجزائر:

تحدث الورتيلاني عن النشاط الإقتصادي في وطنه فقال:« وطننا فيه الزيتون و العنب و التين بكثرة ، و الحرث»[3]، و عندما دخل مدينة قسنطينة أعجب بكثرة أسواقها و دكاكينها فقال:« فيها أسواق كثيرة و دكاكين طيبة سعرها رخيص، واسعة الأرزاق كثيرة الإرتفاق ممدودة الأنفاق كثير فيها اللحم و السمن و القمح و التين، ما أحسنها من زرع و درع و ضرع، تأتيها القوافل من كل النواحي، قليلة الفواكه كثيرة المزارع »[4].

[1] - الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج3، ص: 288.
[2] - المصدر نفسه، مج2، ص: 24.
[3] - المصدر نفسه، مج1، ص: 87.
[4] - المصدر نفسه ، مج3، ص ص: 352، 353.

أما مدينة بسكرة فقد استوقف الرحالة كثرة النخيل بها و كذلك الفواكه خصوصا الزيتون فهو كثير جدا، و بها أرحاء متعددة تطحن بالماء و مزارع حناء إلى غير ذلك من الفواكه و الخضر والبقول و كثرة اللحم و السمن في أسواقها[1].

إضافة إلى ذلك أشار الى العادات القبيحة التي كانت منتشرة في المجتمع ففي بلدته زمورة قال:« أن النساء في هذه البلدة الطيبات المتبرجات كأنهن في ليلة الزفاف بهن في الأزقة و العيون مكشوفات العورات باديات المستحسن منهم كالصدر و الثدي و تحت الإبط و الساق و الفخذ ومع ذلك إنهن أجمل خلق الله من رأهن من العباد من أهل اللهو و اللعب فتن بهن، إذ يفزع و يرعب عند رؤيتهن و مشاهدة محاسنهن غير محجوبات بل كلهم أو جلهم يفتخرون بذلك فقد ضلوا وأضلوا، فلا يسمعون إن وعظتهم و لا يرجعون إن ذكرتهم و قد اشتدت القسوة على قلوبهم و هي أشد قسوة من الحجارة، وقد ألفوا ذلك من آبائهم وأجدادهم قبح الله رأيهم فإن أنكرت عليهم أو تغيرت بسببهم، ربما عدوك و رموك بما لا يليق بك »[2].

أما في مدينة بسكرة كتب عن الحياة الاجتماعية و أنماط عيش سكانها[3] حيث لاحظ فيها عادات مذمومة منها :« أن القاضي و المفتي لا يتولى إلا بإعطاء لهم، و ارتشاء لديهم، و من أفعالهم الشنيعة قطع الميراث للنساء، بل زادوا في الضلال، أن الرجل إذا مات ورث أخوه ماله و زوجته، كما كان في الجاهلية قبل الإسلام، إذ المشرع لتلك الأحكام و هو الشيطان حي لم يمت، فقويت دسائسهم بكثرة المخالفة ..... و أن الإنسان إذا رأى أخا له أو ابن عمه ذا مال قتله و أخذ ماله وأهله إلى غير ذلك من أوصافهم الرديئة ».[4]

[1] – الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص- ص: 199- 212، 213.

[2] –المصدر نفسه ،مج3، ص:377.

[3]-Hadj sadok . adravers la berbérie orientale du XVIII[e] siécle , avec le voyageur , al_warthilani :, R.A ,société historique algerienne , 1951, P337.

[4]-الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج1،ص- ص: 241 - 243.

3-2- تونس :

أسهب صاحب الرحلة في كلامه على النشاط الإقتصادي في تونس فقد لفت انتباهه فيها جودة منتجاتها و زهد أثمانها حيث قال:« أنها كثيرة النخل مع جودة ثمرها، إذ لا نظير له في سائر بلد الجريد و بها من الثمار ما لا يحصي عدده إلا الله، يرد عليها من الأعراب الآلاف المؤلفة و يملأ كل واحد إبله بما شاء من الثمار، و أجنانها كثيرة، يرخص غالبا سعر السمن و اللحم، أما التمر فيها فرخيص جدا، يكاد يكون كدرعة و أمثالها »[1].

و إلى جانب هذا أعطى لنا الورتيلاني الصفات التي وجدها سائدة في المجتمع التونسي آنذاك و التي يرجع بعضها إلى طيبة أهلها و البعض الآخر يرجعه إلى الاختلاط الناتج عن غياب الوازع الديني في المنطقة و من ذلك يذكر: « أنه في حجته الأولى تخلف مع شيخ الركب في بعض نواحي توزر بأن أدخله بعض الناس إلى بيته، مع أصحابه و بقيت أنا في الزقاق أنتظر خروجه ....و لما بقيت وحدي إذ برجل من القرية عزم علي و ذهب بي إلى بيته بعد امتناعي خوفا من المكر، و لما وصلت بيته وجدته أحسن البيوت، و وجدت زوجته من أحسن النساء دينا و حالا و صيانة ..... فعلمت أنهما من أهل الصلاح، ثم قامت المرأة و جعلت لي خبزة ثم كسرتها في الحليب – أعني لبن الغنم – و وضعت عليه شيئا من الزبدة .... فما وجدت أحلى من ذلك الطعام .... فلما كنت في أثناء الأكل و إذا بصاحب البيت قال لي: كل هذا طعام بلدك، فقلت من أي بلدة فقال: من ميلة [2] و خطر لي أنه أوتي له من الغيب، ثم خرجت من بيته مذعورا »[3].

[1]– الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج2، ص: 261.

[2]–**ميلة** : مدينة عتيقة بناها الرومان على بعد نحو 12ميلا من قسنطينة تحيط بها أسوار قديمة. ينظر: الحسن الوزان،المصدر السابق، ج2،ص60.

[3]– الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج2، ص: 262، 263.

و من المشاهد التي استنكرها أنه رأى: «..... في حامة قابس[1] و التي يوجد فيها حمام ساخن كأنه يغلي بالنار، فلا يستطيع أحد أن يدخله بغتة، إلا بعد الألفة، و فيه بيت يستر المغتسلين، و خارجه نهر منه يجتمع فيه الرجال و النساء من غير ستر في النهار، كل واحد يرى عورة الآخر من غير تغيير و لا نكير، فلما رأيتهم اقشعر جلدي، و تحركت فرائصي، فملأت حجري بالأحجار و صرت أضرب كل من هناك من النساء و الرجال فقالوا : ما هذا الرجل ؟ و ظنوا أني خرجت من عقلي، ففر الكل ..... ثم مر علي شخص فقال لي –رحمك الله –لو كنت معنا دائما لزالت هذه الأمور العظيمة »[2].

3–3– طرابلس :

لقد تطرق الورتيلاني كذلك في مدينة طرابلس إلى النشاط الإقتصادي الممارس فيها، و أشار إلى كثرة منتجاتها و جودة إبلها حيث قال أن: «.... بها أسواق حافلة، كثيرة الثمار و الخيرات، و بها بساتين جليلة في شرقيها و يتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير، و إبل هذه البلدة أجود من غيرها لأنها ألفت العمل و الخدمة الكثيرة و إنهم يستعملونها في كبير الأعمال حتى الحراثة والدراسة و الرحى، فتمرنت بذلك على المشاق العظيمة مع طيب هواء البلد »[3].

كما مدح سكانها قائلا أنهم: « أهل الخير و الصلاح فلا أستطيع عدهم لكثرتهم جدا، لا سيما الساكنون بخارج المدينة »[4].

[1] –**قابس** : مدينة كبيرة جدا بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط في داخل الخليج تحيط بها أسوار عالية قديمة ، و كذلك القصبة ، يجري ماء صغير قرب المدينة لكن ماؤه حار يكاد يكون مالحا. ينظر : الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص:91.

[2] –الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج2، ص ص: 267، 268.

[3] – المصدر نفسه ، مج1، ص– ص: 296– 299.

[4] –المصدر نفسه ، مج1، ص: 284.

و يذكر أيضا أنه من المفاجآت الطريفة الإيجابية التي حدثت بمنطقة التميمي بليبيا أن: «..... إحدى النساء ولدت طفلا .... و هي زوج سيدي عبد الرحمن الذويبي .... ففرحنا له و دعونا له بالبركة...».[1]

و أشار كذلك إلى أهل الزاوية الغربية و قال أنهم أهل كرم و ود و محبة و اعتقاد زائد، و أحوال صادقة[2].

3-4- مصر :

تحدث الرحالة الورتيلاني عن النشاط الإقتصادي بأرض مصر و المتمثل في التجارة و أسهب في الكلام عنه ناقلا ذلك عن أبي سالم العياشي[3].

أما فيما يخص الجانب الإجتماعي فقد وصف الإحتفال الخاص بإعداد الكسوة وصفا دقيقا يدل على أهمية الحدث و قداسته بوصفه حدثا وطنيا لا مثيل له في مصر آنذاك، و يشمل الإحتفال الخروج الأول الخاص بالأعداد ، و الثاني الخاص بالإتمام و الإستعداد للسفر إلى مكة المكرمة[4].

كما أن إقامة الورتيلاني بمصر لم تخلو من المتاعب و بالضبط في بولاق حيث تعرض الركب إلى الظلم و التعدي من النصابين و قد حذر الحجاج منهم في قوله :« فلا تغتر أيها الحاج بحلاوة اللسان من الشياطين، و لا بإظهار المودة، و لا بكثرة الإيمان، فإنهم ذئاب في ثياب .... ».[5]

و قد تحدث عن إزدراء المصريين بالمغاربة حيث قال:« فلا تجد أحدا من مصر لا يحتقر المغاربة حتى كادوا أن يخرجوهم من الإسلام، و طبائعهم منافية لطبائع أهل المغرب فلا نظر لعلمهم و لا

[1] – الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج1، ص: 434.

[2] –المصدر السابق ، مج3، ص: 290.

[3] –المصدر السابق ، مج2، ص ص: 26، 27.

[4] –عبد الرحمن عزي ، التواصل القيمي في الرحلة الورتيلانية المرسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر،(دط) ، 2011، ص: 42.

[5] –الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج2، ص: 83.

لفضلهم، فترى المغربي إذا تكلم تعصبوا عليه بالباطل و لو بالزور، فلم ينفع فيهم إلا عدم مخالطتهم و الإنعزال عنهم ..... و دأبهم و ديدانهم التحيل لأخذ أموالنا و سلب ما عندنا لمجرد الأباطيل والتظلم و إظهار المسكنة إن أفاده ..... فما أقبحها من بقعة للحجاج و للمغاربة »[1].

5- الأحوال الثقافية :

لقد زودنا الرحالة الورتيلاني بمعلومات قيمة عن الحالة الثقافية، في الأقطار العربية، ملاحظا قلة العلم و أربابه في الجزائر لإهمال الحكومة التركية لذلك، أما طرابلس فكاد ينعدم فيها التدريس تماما، بينما نجد تونس و مصر قد ازدهرت فيهما الحالة الثقافية ازدهارا كبير، حيث كادت المدارس تعم جميع قرى و مدن هذين البلدين و خاصة جامعي الأزهر و الزيتونة اللذين ظلت وفود الطلبة والعلماء ترد اليهما من كافة أنحاء العالم.[2]

4-1- الجزائر :

أسهب الورتيلاني في الحديث عن الحالة الثقافية في الجزائر حيث ذكر العديد من علماء أولياء و بلده مقتصرا على سرد كراماتهم، و لاحظ أن علماء و صلحاء بلده لم يسبق أن تعرض لهم أحد قبله حيث قال أن:«.... صلحاء بلدنا لم يتعرض لهم أحد قبل و لا بعد، لعدم الاعتناء و ضيق المعيشة، أردت التنبيه عليهم على سبيل الإيجاز »[3]، كما أشار إلى أن زمورة قليلة العلم، جهلها جليل، إلا أنه ذكر بعض علمائها كالشيخ محمد السعيد، و سيدي المبروك الشوثري، و سيدي الطاهر الشوثري و غيرهم[4].

[1] - الحسين الورتيلاني، المصدر السابق، مج2، ص: 156، 157.

[2] -مختار بن طاهر الفيلالي ، المرجع السابق، ص: 161.

[3]-الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق، مج1، ص: 198.

[4] - المصدر نفسه، مج1، ص:98.

و أثناء جولته في الشرق الجزائري وبالضبط في مدينة قسنطينة ذكر أنه اجتمع بعدد من الفضلاء و الصلحاء[1] كسيدي يحي العيلاوي، و سيدي أحمد الزين و قاضي الجماعة عبد القادر الراشدي و غيرهم من الفضلاء فكل من كان في قسنطينة فيه رائحة علم إلا و اجتمع به.[2]

و ممن زارهم كذلك بأرض الحضنة من أولاد دراج الشيخ حليتهم شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم كما يسميه، والشيخ القندوز و أولاده سيدي محمد و أحمد، و الشيخ مبارك بن عمار و غيرهم[3].

أما عن بسكرة و على الرغم من التدهور الذي عرفته في الحالة الثقافية إلا أن الورتيلاني أثنى على أسرة أولاد سيدي ناجي بالخنقة و التي اشتهرت بالعلماء كسيدي محمد بن الطيب، و سيد أحمد بن ناصر، والشيخ عبد الحفيظ[4] وغيرهم من العلماء .

و الى جانب هذا لم يغفل صاحب الرحلة عن الحديث على المساجد في بلده ففي قسنطينة مثلا ذكر أنها تحتوي على نحو الخمسة مساجد بعضها في غاية الإتقان، وأشار إلى أن كل مسجد من مساجدها إلا و فيه شيخ صالح مدفون بالمسجد و ينسب إليه، و يقال مسجد فلان كسيد عمر الوزان ، و سيدي عبد الكريم الفكون و غيرها .[5]

[1]–عبد الحفيظ بورايو ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات ، دار مداد يونيفارسيتي براس، الجزائر، ط2، 2013،ص:170.

[2]–الحسين الورتيلاني، المصدر السابق ، مج3، ص: 364.

[3] –المصدر نفسه، مج1، ص ص: 196،197،198.

[4] –المصدر نفسه، مج1، ص:254.

[5]–المصدر نفسه ، مج3، ص ص: 365،366.

وكعادته ذهب إلى زيارة العديد من أضرحة الأولياء كضريح الشيخ عبد الرحمن الأخضري بطولقة [1]، و ضريح الشيخ عبدالحق الفجيجي ببجاية، وضريح الشيخ السنوسي، وابن زكريا في تلمسان أثناء زيارته في المغرب الجزائري ، و قبر النبي سيدي خالد ببسكرة.[2]

و يضيف إلى ذلك أنه زار كثير من المدن الجزائرية لهذا الغرض أي البحث عن العلماء وآثارهم ،كمدينة الجزائر ،ومليانة ،والبليدة، و المدية ، و تلمسان و عنابة التي أشاد فيها بأسره أحمد بن الشيخ العنابي.[3]

4-2- تونس:

سجل صاحب الرحلة الشيخ الحسين الورتيلاني ملاحظات هامة من الأحوال الاقتصادية في تونس و أشار إلى كثرة علمائها و مساجدها و مدارسها، وحسب رأيه هذا راجع إلى :«أن سلاطين تونس و أمراءها و أصحاب الدولة صرفوا هممهم إلى العلم و أقاموا منائر عزة، فبنوا المدارس وأوقفوا الأحباس وأعزوا العلماء».[4]

ومن العلماء الذين اجتمع بهم في تونس ذكر لنا عدد كبير كالشيخ الفاضل الكامل ابن محجوبة و ولده سيد محمد، و حمودة بن عبد العزيز، و حسن الترجمان، و ممن اجتمع بهم أيضا الشيخ أحمد السوسي ، و الشيخ عبد القادر الفاسي و غيرهم من العلماء و أهل الدولة « فأوصافهم تجل عن العد و الإحصاء و كذا المجتمعون في جامع الزيتونة للإقراء و التدريس فتقتصر العبارة عنهم وعن عدهم »[5].

---

[1] -**طولقة** : مدينة بناها النوميديون يحيط بها سور، يمر قربها جدول ماء ساخن ، تنتج أراضيها كثير من التمر و قليل من القمح. ينظر : الحسن الوزان ، المصدر السابق ، مج2، ص:140.

[2] - الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج1، ص- ص:43-71.

[3] - المصدر نفسه، مج2، ص ص:98،99.

[4] -المصدر نفسه، مج3،ص ص:316،317.

[5] - الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج3، ص ص: 313،314،315.

أما عن المساجد و المدارس ، فقد كادت أن تعم أغلب مدن تونس فقد ذكر أنه في مدينة صفاقس يوجد فيها مسجد عظيم ، يجتمع فيه القراء و العلماء للتدريس، وقد باحث البعض منهم في علم الكلام.[1]

أما في مدينة قابس كذلك فقد ذكر:«أن حمودة باشا[2]قد بنى بناءا عظيما على ضريح أبي لبابة و جاء بعده محمد باي فبنى بازائه مدرسة و مسجدا، في غاية الجودة والاتقان، و الحسن و مسجده كذلك، و جعل لهذه المدرسة أحباسا، و رتب فيها عشرين طالبا، يعطى كل واحد منهم ريالان على رأس كل شهر، واستأجر ففيها يعلمهم و يصل الصلوات الخمس بالمسجد المذكور إماما به ».[3]

و من القبور التي ذكر الورتيلاني أنه زارها في مدينة تونس قبر الصحابي أبا لبابة الذي هو من الصحابة رضي الله عنه.[4]

4-3- طرابلس :

تطرق الورتيلاني إلى الحالة الثقافية في طرابلس و أشار إلى وجود المدارس في بعض المدن و القرى و تحدث عن الزاوية الغربية حيث لفت انتباهه كثرة الأولياء فيها، و يظهر ذلك في قوله :

[1] - الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج3، ص:307.

[2] -**حمودة باشا (ت:1230هـ/1814م)**: اعتنى أبوه بتربيته ، فقرأ ما تيسر من القرآن ، أخذ عن العلامة الكاتب ابي محمد حمودة بن عبد العزيز ما يلزم من النحو و الحساب و التاريخ و كان له انجازات في الداخل و الخارج أيامه حكمه البلاد التونسية (1782م-1814م).ينظر: أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك عهد الأمان ، ج3، الدار التونسية للنشر، تونس،(د ط)،1979، ص:15؛ رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس (1782م-1814م)، منشورات الجامعة التونسية، تونس،(د ط)، 1980، ص:75.

[3] - الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج1، ص ص:269،270.

[4] -المصدر نفسه، مج1، ص:268.

«و قد كثر فيها أهل الخير من الصالحين أهل الإنصاف الأحياء والأموات، ينبت فيها الصالحون كالشجر فلا تجد ناحية إلا و فيها فقراء و المزارات بحيث أن كل ناحية تجد فيها مزارا حيا أو ميتا».[1]

و قد ذكر عدد من العلماء الذين اجتمع معهم أمثال : الشيخ المفتي سيدي محمد بن مقيل و أصحابه كالفقيه المدرس سيدي عبد العزيز و أولاده و ممن اجتمع معهم من الفقهاء أيضا القاضي و مقدم القاضي، والقاضي من الحنفية، والفقيه عمر السوداني، و الشيخ الصكلاني و غيرهم.[2]

كما أشار إلى وجود مدرسة بمدينة زغزور[3] بناها القائد عمورة و هي مدرسة عظيمة متقنة ذكر أنه:« ما رأيت أظرف منها وأحسن من صنعتها وجعل فيها بيوتا متعددة، ومطهرة طيبة، و مسجد في غاية الحسن يستحسنه الناظر، وجعل أيضا بيتا للتدريس وغرس النخل الجيد، وحبسها على المدرسة، وزاد أحباسا عليها عظيمة ، وحاصل خدمته أيضا هي على طلبة القرآن وطلبة العلم، بأن جعل معلما للقرآن و العلم...».

و قد دافع الورتيلاني على هذا القائد الذي أنكر عليه العلماء فعله هذا لأن المال الذي بنى به المدرسة و المسجد هو من مال المسلمين الذي أخذه بغير رضى منهم أي ظلما و عدوانا.[4]

و إضافة إلى ذلك تأسف على تدهور الحالة الثقافية حيث يقول:«....أما طرابلس و عمالتها فقد ضاقت على أهلها المعيشة ما هي إلا بالكد والجد والسعي الكثير.....فقد انعدم التدريس للعلم في طرابلس وقل الاشتغال بالعلم رأسا، فلا تجد مجلسا فيه وكيف يتصور العلم فيها مع أن علماءها أفضل علماء الأوطان، غير أنهم لما انعدم التدريس منهم صاروا قاصرين لعدم اتفاق العلم ...فلما ضعف أمر البلاد قصر العلم فيها بل كاد أن ينعدم العلم رأسا، و من أراد العلم فليذهب إلى مصر

[1] – الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج3،ص: 288.

[2] –المصدر نفسه، مج1، ص ص:284،285.

[3] –**زنزور**: قرية قريبة من البحر على بعد 12ميلا من طرابلس يكثر فيها الصناع وتنتج الكثير من التمر و الرمان و السفرجل. ينظر: الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2، ص:110.

[4] – الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج1، ص ص : 275،276–280.

أو إلى تونس أو إلى جربة....و ذلك أن ملوكها ليس لهم رغبة فيه أو أنهم لا وسع عندهم حالهم حال وطنهم، و إلا فلم أجد وطنا مثله في الفهم و الإقبال على الله ».[1]

4-4- مصر :

أعجب الورتيلاني بالحالة الثقافية التي كانت سائدة في مصر وذلك لكثرة مساجدها ومدارسها وعلماءها وأولياءها .

فعن العلماء الذين لقيهم فقد قال أنه قام بزيارة العديد من العلماء و الشيوخ بالأزهر الشريف من بينهم إمام الطريقة والسالكين، الجامع بين الحقيقة والشريعة سيدي محمد الحفناوي (1181هـ/1767م)،وعلي الصعيدي(1189هـ/1775م)،وقد زار أيضا بالأزهر من العلماء الشيخ البليدي (1176هـ/1762م)و الشيخ الملوي و غيرهم من العلماء الذين تحصل منهم على إجازات .[2]

و إلى جانب هذا ذكر أنه: «...يوجد بها مسجد لا ثاني له في مصر و لا في غيرها من البلاد، في فخامة البناء ونباهته و ارتفاعه وإحكامه، و اتساع حناياه ، وطول أعمدته الرخامية،و سعة أبوابه ، كأنه جبال منحوتة ، تصفق الرياح فيه أيام الصيف بأبوابه....».[3]، إضافة إلى ذلك قام بزيارة عدة قبور كثيرة السيدة نفيسة بنت الأمير حسن بن زيد بن علي بن الحسين و قبر الإمام الشافعي.[4]

كما أنه كان للورتيلاني رأي في بعض المسائل الفقهية منها قوله: «قد وقع بيننا و بين الوالد -رحمه الله- نزاع في بعض المسائل من مسائل الفقه واستظهرت أنا و العلامة الفاضل عمنا سيدي محمد الصغير أمرا والوالد جزم بفهم آخر، وهو قول خليل: وتفكر بدنيوي، إذ ذكره في باب

[1] - الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق، مج3، ص-ص:252-254.
[2] - المصدر نفسه ، مج2، ص-ص: 84-88،89.
[3] -المصدر نفسه ، مج2، ص:51.
[4] - المصدر نفسه،مج2، ص:69.

المكروهات، فقال جميع من شرحه: محل ذلك إذا درى ما صلى، وإلا بطلت صلاته، أي إن لم يدر ما صلى بطلت إلخ فقال الوالد :يصدق ذلك –أي عدم الدراية – و لو بركعة واحدة، لأنه لم يدر ما صلى ، فقلت له في الرد عليه : هذا يبنى على المحقق ويأتي بالمشكوك فيه لأن قولهم: إن لم يدر ما صلى....، إذا صدرت منه أفعال كثيرة ولم يضبطها أصلا، و لم يتحقق عنده و لو ركعة، فهنا تبطل الصلاة، لأن الفعل المضارع في سياق النفي كالنكرة في سياقه، يفيد العموم، فلما ذكرت ذلك لشيخه أبا سالم النقزاوي أجابه بما قال به أبوه ».[1]

و نلمس من خلال عرضنا هذا أن صاحب الرحلة الحسين الورتيلاني قدم لنا معلومات جد قيمة و مفيدة حول الأوضاع التي كانت سائدة في البلدان العربية التي زارها .

[1]– الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق، مج2،ص: 106.

المبحث الثالث : بلاد الحجاز من خلال رحلة الورتيلاني

حاول الرحالة الحسين الورتيلاني عند وصوله إلى بلاد الحجاز أن ينقل انطباعاته و ملاحظاته عن الحياة في شبه الجزيرة العربية، و ذلك في جوانب مختلفة سواء كانت جغرافية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية.

1-الملامح الجغرافية:

على الرغم من كل العقبات التي اعترضت الحجاج وهم في طريقهم إلى بلاد الحجاز إلا أن الوصول إلى بيت الله الحرام أنساهم كل تلك المشاق والصعاب، ومن ذلك نجد الورتيلاني يصف رؤيته للبيت العتيق بلسان شيخه سيد أحمد بن ناصر ما نصه : «فشاهدنا البيت العتيق الذي تزيح أنواره كل ظلام و قد تدلت أستاره، و أشرقت أنواره ، و قد شمر البرقع عن أسافله، حتى لا يكاد الطائف يناله، بأنامله، يفعلون به كذلك من أول تقدم الوفود، و لا يطلقون أستاره حتى تعود »[1].

وقد احتل وصف المدن والقرى والآبار والأودية ونحو ذلك مكانا بارزا في رحلة الورتيلاني وكانت بعض أخبار هذه الأمور منقولة عن مصادر أخرى و بعضها من مشاهداته الخاصة.[2]

فقد ذكر سبع وعرات فقال انها أول بلاد الحجاز العامرة، وفيها قرى كثيرة وتحدث أيضا عن بدر و قال بأنها قرية حسنة ، فيها بركة تكفي الأركاب كلها و غيرها من المناطق كقديد، وعقبة السكر، و خليص ، و عسفان.....الخ.[3]

أما عن المدينة المشرقة فقد ذكر المشاهد التي ينبغي أن تزار بها و هي ثلاثة : «أحدهما مشهد مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري ، و مشهده غربي المدينة و ثانيهما مشهد ذي النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب —رضي الله تعالى عنهم أجمعين-

[1] – الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق، مج2، ص:261.

[2] –أبو قاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص: 193.

[3] –الحسين الورتيلاني، المصدر السابق ، مج2، ص-ص: 196-207.

و ثالثهما مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب –رضي الله عنه –و هو بأحد ، فهذه المشاهد هي المعروفة بالمدينة المنورة»[1]

وإلى جانب هذا ذكر الورتيلاني عدد كبير من الآبار والأودية الموجودة في مكة المكرمة و المدينة ناقلا ذلك عن العياشي.[2]

2-الأحوال السياسية :

حكم الورتيلاني حكما قاسيا على النظام السياسي في الجزيرة العربية في زمانه، و قال أن الأوضاع فيها كانت تسير من السيء الى الأسوأ، و من هنا كان الورتيلاني موفقا موثقا في وصف هذا النظام كانت الفترة تتزامن مع بداية انشار الحركة الوهابية، وذكر من الأمراء في حجته الأولى الأمير مسعود بن سعيد (1165هـ/1751م)أما في حجته الثانية و الثالثة فقد كان الأمير هو مساعد بن سعيد[3](1184هـ/1770م) و السبب في هذا الفساد راجع بالدرجة الأولى إلى عجز الولاة عن توفير الأمن بل نسب إليهم الظلم[4]. و يظهر هذا في قوله : «و هذا كله يشير إلى أن الزمان قد زاد في الظلم و التعدي ..... و الحج كاد أن يكون ساقطا من الولاة و أصحابهم و العرب...»[5].

وروى الورتيلاني قصة دخوله على أمير مكة في داره ويسميه السلطان مساعد ، ذلك أن إبل الحجاج أغار عليها العرب فاستأذن في الدخول عليه ، مع جماعة من الفضلاء ، فأذن له منفردا في الدخول ، و من معه بقي عند باب الدار ينتظرون ما يرجع به ، فدخل على الأمير فقبل كتفه و قبل الأمير كتفه أيضا ، و سأله ماذا تريد فأجابه أن العرب أغاروا على الإبل ، وذكر الورتيلاني الحديث

[1] -الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج3، ص-ص:15-17.

[2] -المصدر نفسه، مج2، ص-ص:52-107.

[3] -**مساعد بن سعيد (ت: 1184هـ/1770م)**:تولى شرافة مكة بعد أخوه مسعود بن سعيد، وأقبلت لمبايعته السادة الأشراف والعرب من سائر الأطراف و دامت ولايته تسع عشرة سنة إلا ثلاثة أشهر. ينظر: أحمد رحلان، أمراء بلد الحرام من أولهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الشريف الحسين بن علي، الدار المتحدة للنشر ، لبنان،(د ط)، (د ت)، ص: 238.

[4] -حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2008، ص: 226.

[5] - الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج2، ص:328.

الشريف«كلكم راع »فأكمل الأمير الحديث حسبما ذكر الورتيلاني أنه فرح و سر سرورا عظيما ، لما علم أنه صاحب علم ، و اعتذر له ووعده أن الإبل المسروقة سوف ترجع لهم و نقل لنا كذلك عن الأمير قوله :«فإن أمرهم قد قوي علي و على غيري، أو كلاما هذا معناه»[1].

و يبرهن هذا على أن الأمير كان يشكوا خروج الأمر من يده ، و أن السيطرة على الموقف كانت صعبة[2]. كما ذكر أيضا أنه سأله عن وطنه و نسبه و أجابه أنه من عمالة الجزائر و أنه شريف و ودعه توديع الحبيب و سأله الدعاء له و لذريته[3].

3- الأحوال الإقتصادية و الإجتماعية:

تحدث الورتيلاني عن النشاط الاقتصادي في بلاد الحجاز وأسهب في ذكر الأسواق التي تتواجد بها مختلف أنواع الخضروات و الفواكه منها سوق العقبة الذي ذكر أنه يوجد به نشاط عظيم و تسوق قوي ، و أن فيها سوق لا تكاد تحصي ما فيها من أنواع البر و الثياب و الأمتعة و الأطعمة ، و أنواع الخير من كعك و خبز و أنواع الطبائخ بتابل و غيره من أبزار منوعة الأجناس و مفترقة الأصناف[4].

ومن المناطق التي أشار كذلك إلى كثرة أسواقها بندر المويلح و الخضيرة حيث قال عن الأولى أنها كثيرة الأرزاق، و أسواقها تامة، و فيها ما لا يحصى من أنواع النبات و الأطعمة المختلفة والملابس المزخرفة، و الطبائخ المختلفة و علف الدواب و فيها مرسى قوية النفع، أما الثانية و هي الخضيرة ففيها أسواق كثيرة، لا تكاد تنعدم فيها الخيرات، و تقضى فيها جميع الحاجات، و فيها غالب الحبوب و الثمرات، و كذا الخربز أي الدلاع و جميع الأقوات و المشتهات[5].

---

[1]- الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج1، ص ص:326 ،327.

[2]- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج1، ص: 190.

[3] - الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج2، ص: 327.

[4]- المصدر نفسه، مج2، ص: 288.

[5]-المصدر نفسه، مج2، ص-ص: 235-241.

أما بالنسبة للمدينة فقد ذكر بأن:«.... ففواكهها في غاية الجودة خصوصا عنبها و رطبها أما الخضر فأكثرها وجودا الجزر، و الملوخية و البامية، والبصل و اللفت، و الخضر البرية ليست فيها إلا الخبيز و لا يأكل أحد في تلك البلد السمن القديم و الشحم الغوي إلا أضر به ما لم يكن حديث عهد بالبلد، فإذا طالت إقامته في هذا البلد تطبع بطبعهم[1].

كما تطرق إلى الأحوال الاجتماعية التي كانت سائدة في بلاد الحجاز و أطال الكلام عن عادات و تقاليد هاتين المدينتين الشريفتين و ذلك نقلا عن غيره.

و سنكتفي بالأحداث التي وقعت معه شخصيا في هذين الموضعين ففي مكة ذكر أنه :«كان يعلم بعض أهل بلاده مناسك الحج و يطيف بهم فلما رأى أهل مكة ذلك اعترضوا و قالو: ألم تعلم أن أهل مكة لا ينتظرون إلا هذا الموسم، فقالوا : طف لنفسك و أترك الناس، فقلت: أنا أطوف بهم و أعلمهم و أنتم خذوا الأجرة منهم »[2].

أما في المدينة المشرفة فقد ذكر أن:« الركب الجزائري فلا حكم عندهم أصلا و لا يقفون عند الأمر و النهي، لا سيما أهر عامر، فما فارقهم أحد في هواهم إلا أبغضوه و جعلوه عدوا، و قد أصابني منهم عداوة عظيمة من أجل أني آمرهم بالسنة و القيام بالأحكام الشرعية، لا سيما السير بسير الشيخ و النزول بنزوله، و ستر نساءهم لأنهن يذهبن مكشوفات العورات فيبدين زينتهن لكل الناس، بل يتزين لأجل ذلك ليرعن من فتن بهن فأردت إقامة الحد عليهن و على أزواجهن، فصارت لي فتنة عظيمة غير أني من عاداني منهم ببركة السنة لم يرجع إلى بيته فأظهر الله أمري .... و تاب من بقي منهم بعد أن هلك من هلك منهم »[3].

[1] – الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج3، ص ص: 84،83.

[2] – المصدر نفسه، مج2، ص:263.

[3] – المصدر نفسه، مج3، ص: 127.

و كعادته لا يكاد الورتيلاني يدخل إلى منطقة من المناطق إلا و يشير إلى انعدام الأمن و كثرة اللصوص و من ذلك ذكره دار أم السلطان حيث قال:« أن الأعراب كثيرة المكر فيها و الخديعة، قل أن يسلم الركب منهم على خير و عافية»[1].

1-الأحوال الثقافية :

أما عن الحالة الثقافية في بلاد الحجاز ذكر ورتيلاني أنه التقى بمكة بأحد علماء البحرين وأنه كان ضرير، ومن كبار فقهاء المالكية، و قد سأله عن أهل البحرين فقال الرجل: أن أكثرهم من المالكية،و من الأئمة الذين لقيهم أيضا بمكة الشيخ المخيلي، والشيخ عبد الله بن سالم البصري، والشيخ محمد تاج الدين مفتي الحنفية[2] ثم تحدث عمن أجاز أحمد بن ناصر بمكة من العلماء[3].

أما بالنسبة للمدينة المنورة ذكر اجتماعه بالشيخ السمان القرشي المدني بالمدينة المنورة أوصاه بشرح الصلاة المنسوبة إليه وهي صلاة عظيمة ووعده بذلك. و قد وصفه الورتيلاني بالشيخ «الصفي الودود التقي ،ذي الأحوال الصادقة والأنفاس الطيبة، والأعمال الزكية والمواجد الإلهية والمعارف الربانية و العلوم الدينية ، صاحب الأوراد و المريدين ..»[4] و يضيف لذلك زيارته للعديد من المساجد و القبور المتواجدة بمكة و المدينة المنورة ناقلا إياها عن الرحلة العياشية.[5]

نخلص في الأخير إلى أن الرحلة الورتيلانية تعد من المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها للتعرف عن أوضاع الجزائر وتونس وطرابلس ومصر والحجاز في القرن (12هـ/18م) فهي

[1] -الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج3، ص ص: 135،136.

[2] - المصدر نفسه، مج2، ص: 331 .

[3] -عبد الهادي التازي ، رحلة الرحلات مكة من مائة رحلة مغربية و رحلة ، ج1،مر:عباس صالح طاشكندي ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي ، السعودية ، (د ط)، 2005، ص: 379.

[4] - الحسين الورتيلاني ،المصدر السابق ، مج3، ص: 113.

[5] - المصدر نفسه، مج3، ص-ص : 33-50.

تسجيل للوضع الإجتماعي والإقتصادي، ووصف دقيق للملامح الجغرافية وصورة صادقة للوضع الثقافي و الفكري.

الخاتمة

و في الأخير يمكننا القول أن دراستنا للموضوع أعطتنا فرصة لمعرفة أبرز العلماء، قاموا برحلات حجازية خلال الفترة الحديثة، كأبو سالم العياشي من المغرب الأقصى، والحسين الورتيلاني من الجزائر، الذين تركوا بصمة في الكتابات التاريخية، حيث تعتبر رحلاتهم المدونة من أوفى المصادر وأشملها وأوثقها، في دراسة كثير من أحوال البلدان العربية التي مروا بها، خاصة المدينتين الكريمتين مكة و المدينة المنورة و عليه نستخلص مجموعة من النتائج نلخصها فيما يلي:

- أن الرحلات الحجازية تستمد قيمتها الحقيقية مكن مضمونها الغني بالمعلومات القيمة والمفيدة مما أضفى عليها طابع الموسوعية، كما تستفيد هذه الأخيرة قيمتها من مكانة صاحبها، لأن أغلب من دونوا هذه الرحلات هم من فئة العلماء و الفقهاء، و هي بذلك تعد من الوثائق التاريخية الأساسية في الفترة الحديثة.
- كما منحة لنا هذه الرحلات الكثير من المعلومات الخاصة بالفترة الحديثة من ذلك تقديم للقارئ صورة شاملة عن ركب الحج من حيث طريقة تعيين أمير الركب، و الشروط التي ينبغي أن تتوفر فيه منوطة بجملة من المهام، و كان هذا المنصب يمنح للعائلات التي كانت لها مكانة لدى السلطة الحاكمة و لم تكتفي بهذه المعلومات فقط بل تعدتها إلى ذكر أهم العواقب الوخيمة والصعاب التي كانت تواجه حجاج بيت الله الحرام منها مشكل الماء و إنعدام الأمن، و الأعظم من ذلك إنتشار الأوبئة كالطاعون الذي كان يشكل هاجسا أمام الحجاج.
- للقيام بهذه الرحلة الشيقة كان على الحجاج الإستعانة بمجموعة من المتطلبات التي تستوجبها رحلتهم الطويلة المدى من تجهيز الرواحل، و الإعتماد على دليل تكون له خبرة في معرفة الطرق والمسالك الخالية من المخاطر، تفاديا للعراقيل التي قد تعترضهم.
- كما أن هذه الرحلات زودتنا كذلك بمختلف المعلومات عن أحوال البلاد والعباد في مختلف البلدان العربية المذكورة في رحلتي العياشي و الورتيلاني ، كالجزائر و تونس و طرابلس و مصر و بلاد الحجاز، معرجين في ذلك على وصف أهم المعالم الجغرافية التي تزخر بها تلك البلدان في مقدمتهم بلاد الحجاز لما لها من مكانة خاصة في نفوس المسلمين.

- إلى جانب هذه المعلومات ضمنت هذه الرحلات في طياتها الظروف السياسية، حيث أعطت لنا صورة عن مآسي هذه المجتمعات العربية الراجعة إلى إستبداد و ظلم الولاة.
- الإشادة بالأحوال الإجتماعية والإهتمام بذكر عادات وتقاليد الاهالي الحسنة و المستهجنة على حد سواء.
- و يمكن إعتبار هذه الرحلات- الرحلة العياشية و الورتيلانية- مصدرا هاما في معرفة أسماء علماء تلك الفترة التي وردت في الرحلة حيث أن هؤلاء كانوا يرتبطون مع بعضهم البعض بشبكة من العلاقات الإجتماعية القوية رغم صعوبة إمكانيات التواصل في تلك الفترة.
- التعرض لثقافة دينية السائدة مع التركيز على الزوايا التي عايشوا مشايخها و أعلامها طيلة رحلاتهم، إضافة إلى ذلك الإهتمام بإثارة النوازل والمستجدات الطارئة على المجتمع الإسلامي، وطرح موقف الشرع الحكيم منها، وموقف الفقهاء المعاصرين لهم من تلك النوازل كالمنبهات والسجائر فكان لكل من العياشي والورتيلاني موقف من هذه المسائل، فدخلوا في مناظرات عليمة فقهية مع بعض العلماء الذين قابلوهم فكان لجدلهم ومعارضتهم دور في إظهار علو مرتبتهم وفكرهم.
- و هكذا فإن رحلة الحج ماتزال من أهم مظاهر وحدة العلم الإسلامي، و هي رابطة من روابط التي تجمع المسلمين القادمين من كل حدب وصوب، حيث يتجاوزون القطيعة السياسية والطائفية و المذهبية، و تتلاقى فيها ثقافة المشرق والمغرب تحت مظلة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الملاحق

الملحق رقم (01): تعيين عبد الكريم الفكون أميرا لركب الحج (1048هـ/1638م)[1]

الحمد لله، ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم إلخ. من القواد والعمال والخاص والعام ببلد قسنطينة، سدد الله الجميع، وبعد فإن الشيخ العالم القدوة التقي إلخ. الناسك الأبر النحرير المؤلف إلخ. البليغ، سيدي عبد الكريم الفكون، دامت بتوفيق الله عنايته ونفعنا ببركاته، جددنا له على مقتضى ما بيده من الأوامر، فلما كان توجه للأرض المشرفة وزار قبر المصطفى، عليه الصلاة والسلام، بعد استخارة الله، سبحانه، وظهر له يتبع طريق امام التحقيق شيخ الأشياخ العارف بالله المحقق المتبرك به في الحركة والسكون سيدي أحمد زروق(1)، نفعنا الله ببركاته

إلخ. وأذنّا له بضرب الطبل، ويتوجه بالمسلمين كما كان(1) ويكون رقاس(2) الرسول، عليه الصلاة والسلام، لا مانعاً له ولا معارض ولا مدافع إلخ. لأنه أحق بها، ويقوم بحقها إلخ. موصي فيما سعى وقلد إليه واتباع الطريق فيما اقتدى واهتدى والرفق بالرفيق، والسائق المزمل للبيت العتيق يسير على قدر سيرهم، ولا يؤثر البعض على بعضهم إلخ. قصدنا بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم إلخ.

وكتب بأمر عبدالله المجاهد في سبيل الله أبي الحسن علي باشا ـ أيده الله ـ بتاريخ أوائل رمضان المعظم عام (1048) ثمانية وأربعين وألف وبأوله خاتم به ما نصه أضعف العباد علي(*).

[1] – ينظر: أبو قاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص ص: 225،226.

الملحق رقم (02): تثبيت عبد الكريم الفكون على ما كان عليه (1060هـ/1650م)[1]

الحمد لله، ليعلم من يقف على أمرنا الكريم من القواد إلخ المتصرفين في الأحوال ببلد قسنطينة إلخ.

أما بعد، فإن الفقيه الأجل إلخ أمير ركب المسلمين ورقاس رسول رب العالمين سيدي عبد الكريم الفقون، لما أن قدم إلينا بمكتوب المعظمين المرضيين فرحات باي ورجب باي، على أنهم وهبوا له سوق الفواكي (كذا) والخضر وجميع داخله يكون

بيد السيد المذكور يصرفه في ضروريات الجامع... زيت واستصباح وحصر وغير ذلك وإصلاح من غير معارض له في ذلك ولا منازع ولا مدافع... هذا عمل من يقف عليه، والسلام.

وكتب بأمر عبدالله المجاهد في سبيل الله مولانا أبو الفلاح مراد باشا أيده الله، بتاريخ أوائل شوال عام ستين وألف. وبأوله خاتم فيه ما نصه، أضعف العباد مراد(*).

[1]- ينظر: أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص: 226،227.

الملحق رقم (03): تثبيت محمد الفكون على وظائف أبيه (1074هـ/1663م)[1]

الحمد لله، ليعلم من يقف على الأمر الكريم إلخ من القواد والعمال والخاص والعام وجميع المتصرفين في الأحوال ببلد قسنطينة، سدد الله الجميع.

أما بعد، فإن حامله المعظم الفقيه إلخ الأحسب الأنسب أبي عبدالله محمد بن المرحوم إلخ الشيخ البركة سيدي عبد الكريم الفكون، نفعنا الله ببركاته، إلخ أنعمنا عليه وجددنا له حكم الأوامر التي بيده لإخواننا الباشاوات المتقدمين قبلنا بأن يكون في موضع والده المرحوم المذكور إماماً مرضياً وثقة محضياً (كذا) وخطيباً بالجامع الأعظم يصلي فيه بالناس الصلوات الخمس مواضباً (كذا) لها ومحافظاً عليها وملازماً لها في أوقاتها ويخطب فيه الجمع والأعياد ويكون جميع تصرف أحباس الجامع المذكور من على داخل البلد المذكور وخارجها على يديه يصرفها في

ضروريات الجامع المذكور في زيت واستصباح وحصر ومؤذنين وحزابين وكناسين وشعالين ومستخلف وجميع ما يحتاج إليه من بناء وترقيع وهدم، وما بقي ينتفع به كما هي عادته السابقة المعلومة وكما هي عادة والده المذكور وعادة الأيمة المتقدمين قبله وكما هي عادة أيمة الجزائر المحمية بالله مع حزمه واحترامه إلخ. ولا يقاس بما يقاس به غيره، وكما يحترمون جميع خدام الجامع المذكور مع جملة خماميسه وشركائه بالحرم الدائر بها في ذلك على عادته السابقة المعلومة وعادة المرحومين أسلافه قبله من غير معارض له في ذلك إلخ. إنعاماً تاماً وتجديداً مباركاً إلخ. بحسب من يقف عليه العمل بما اقتضاه إلخ.

وكتب بأمر عبدالله المجاهد في سبيل الله تعالى الأسعد أبي الصدق مولانا إسماعيل باشا، أيده الله، بتاريخ أواسط صفر الخير عام أربعة وسبعين وألف، وبأوله خاتم به اسم إسماعيل بن خليل(*).

[1]- ينظر: أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص: 227،228.

الملحق رقم (04): تثبيت محمد الفكون على وظائف أبيه (1075هـ/1664م)[1]

الحمد لله، ليعلم من يقف على كتابنا هذا بمقتضى أمر مولانا الباشا، نصره الله، من القواد إلخ ببلد قسنطينة إلخ، فإن حامله المعظم الفقيه إلخ، أمير ركب المسلمين ورقاس رسول رب العالمين السيد المولى والسند الأعلا (كذا)، الحاج المبرور البركة الشيخ محمد بن المرحوم السيد الحاج عبد الكريم الفكون

إلخ، جددنا له بأن يكون أميراً مرضياً وثقة محضياً (كذا) وأميناً زكياً على ركب المسلمين ورقاس رسول رب العالمين، ينظر في أمورهم وكافة شؤونهم ومآربهم.

فعلى كافة أهل ركب المسلمين المذكورين المتوجهين معه قاصدين البقعة المشرفة، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، أن يكون كلهم عند نظره وسمعه وطاعته، بحيث لا يخرج أحد منهم عن أمره ونهيه، ويكون مسموع القول عندهم نافذ الحكم فيمن يستحقه منهم، ويجري في ذلك على عادة والده المرحوم المذكور وعادة من تقدم من المعظمين السادات الأبرار الأجلة الأطهار أمراء أركاب المسلمين المتقدمين قبله في أخذ عوائده وفوائده كما هي العادة المعلومة والطريقة السابقة المعتادة.

وأذنا له بحسب التنفير حيث أراد المسير، لزيارة[1] قبر المصطفى البشير النذير، يؤذن في الناس بالحج بضرب الطبل سعياً لمن أراد يؤدي الفريضة إلى الأماكن العلية الشريفة، لا مانع له في ذلك، لأنه أحق بها لكونه من أهلها. ويقوم بحقها. قال ﷺ: لا تعطوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم إلخ. ماضياً فيما سعى وموصي أتباع طريقة من به اقتدى واهتدى، مع الرفق بالرفيق، والشفقة بالمزمل للبيت العتيق، يسير على قدر سيرهم ولا يدني البعض على بعضهم إلخ.

قصدنا بهذا إلخ، مع حرمه واحترامه ورعيه وإكرامه وحفظ أجنابه (كذا)، بحيث لا تهتك له حرمة ولا يهضم له جناب إلخ، وكما يحترمون جميع خدامه وأصحابه وخماميسه وشركائه بالحرم الوافر، وكما أن جميع ما يدخله من باب البلد المذكور أو يخرجه مسرحاً من قائد الباب ولا تهتك له حرمة ولا يصله أحد بإذاية ولا بمكروه، جرياً في ذلك على عادته وعادة أسلافه قبله من غير معارض له، تجديداً تاماً إلخ.

وكتب عن إذن المعظم مصطفى آغا الجيش المنصورة (كذا) بالله تعالى، بتاريخ أواخر رمضان عام خمسة وخمسين[1] وألف. وخلفه طابع به ما نصه: طالب اللطف مصطفى بن خليل(*).

[1]- ينظر: أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص: 228،230،229.

قائمة البيبليوغرافيا

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا: المصادر:

1- الافراني، صفوة من انتشر من أخبار ص:لحاء القرن الحادي عشر، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، ط1، 2004.

2- باشا إسماعيل ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون غراسا في الكتب والفنون، ج2، دار إحياء التراث العربي، لبنان، (د ط)، (د ت).

3- البغدادي اسماعيل باشا ، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ،مج1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، (د ط)، 1951.

4- البكري عبد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواجع، ج2، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، لبنان، ط3، 1983.

5- البلاذري، فتوح البلدان ،ج1،مطبعة الموسوعات، القاهرة، ط1،1901.

6- التجاني عبد الله ، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدر العربية للكتاب، ليبيا، (د ط)، 1981.

7- الحضيكي محمد ،طبقات الحضيكي، ج1، تح: أحمد بومزكر، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط1، 2006.

8- الحفناوي أبو القاسم ، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، بيرفونتانة الشرقية، الجزائر، 1966.

9- الحموي ياقوت ، معجم البلدان، مج5، دار صادر، لبنان، 1977.

10- الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984.

11- ابن خلدون عبد الرحمن ابن ، المقدمة، مج1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 2006.

12- خليفة حاجي ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج1، دار احياء التراث العربي، لبنان ،(د ط)، (د ت).

13- الدرعي أبو مدين، الرحلة الناظرية، ج1، تح: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر و التوزيع، الإمارات،ط1، 2011.

14- الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء، ج3، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 ،1996.

15- الزياني أبو القاسم ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ، تح: عبد الكريم الفيلالي ، دار المعرفة للنشر و التوزيع ، الرباط، ط2، 1991.

16- السجلماسي أبي العباس الهلالي ، رحلة السجلماسي ، تح: محمد بوزيان بنعلي، تراث فجيج ، ط1 ،2014.

17- السنوسي محمد ، الرحلة الحجازية،ج1،تح: علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،(دط)، 1976.

18- ابن أبي الضياف أحمد بن ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك عهد الأمان ، ج3، الدار التونسية للنشر، تونس،(د ط)،1979.

19- عبده محمد ، الأعمال الكاملة، ج5، تح وتق: محمد عمار، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993.

20- العياشي أبو سالم، إتحاف إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، تح: محمد الزاهي، دار الغرب الاسلامي، لبنان ،ط1، 1999.

21- العياشي أبو سالم، إقتفاء الأثر بد ذهاب أهل الأثر، تح: نفيسة الذهيبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1996.

22- العياشي أبو سالم، الرحلة العياشية (ماء الموائد) ، مج1،مج2، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويد للنشر والتوزيع،ط1، 2006

23- الغزالي أبي حامد ، احياء علوم الدين، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2005

24- الفكون عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم و الولاية ، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،لبنان ،ط1، 1987،ص:102.

25- القادري محمد ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر، ج2، تح: أحمد حجي وأحمد توفيق، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1996.

26- القادري محمد ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر، ج2، تح: أحمد حجي وأحمد توفيق، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1996.

27- ابن كثير، البداية والنهاية،ج9، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 2009

28- كحالة عمر رضا ، معجم المؤلفين في تراجم مصنفي الكتب العربية، ج1،مؤسسة الرسالة، (د ط)، (د ت).

29- الماوردي أبو الحسن ، الأحكام السلطانية و الولايات العامة الدينية، نشر دار الكتب العلمية، لبنان ،(د ط)، (د ت).

30- المحبي محمد، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،ج3 ، دار الكتاب الإسلامي، مصر، (د ط)، (د ت).

31- المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج3، دار ابن الحزم، لبنان، ط1، 1988.

32- المراكشي إبن مليح السراج ، أنس الساري و السارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال و المآرب ، تح: محمد الفاسي ، وزارة الدولة المكلفة بشؤون الثقافة و التعليم الأصلي ، المغرب ، 1968.

33- المسعودي أبو الحسن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، (دط)، 2005.

34- ابن منظور، لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، ط3، 1994.

35- النووي محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف ، صحيح مسلم، تح: محمد سيد عبد رب الرسول، ج17-18، مكتبة أبو بكر الصديق للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، (دت)

36- ابن هشام، السيرة النبوية، مؤسسة المعارف، بيروت، ط2، 2005.

37- الوتيلاني الحسين، الرحلة الورتيلانية (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار)، مج1،مج2، مج3، تع: إبن مهنا القسنطيني ، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الجزائر ،(د ط) ،2011.

38- الوزان حسن ، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983.

ثانيا: المراجع:

1- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للباعة والنشر والتوزيع، جدة، (دط)، (دت).

2- الأخضر محمد ، الحياة الأدبية في المغرب على العهد الدولة العلوية(1664م/1894م)، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 1977.

3- الإمام رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس (1782م-1814م)، منشورات الجامعة التونسية، تونس،(د ط)، 1980.

4- أنساعد سميرة ، رحلة الى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة و تطور البنية)، دار الهدى ، الجزائر، (دط)، 2009.

5- بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط2، 1981.

6- بروفنصال ليفيي، مؤرخو الشرفاء، تع: عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار الغرب، التأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1977.

7- بورايو عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات ، دار مداد يونيفارسيتي براس، الجزائر، ط2، 2013.

8- بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 1، 1995.

9- التازي عبد الهادي، رحلة الرحلات مكة من مائة رحلة مغربية و رحلة ، ج1،مر:عباس صالح طاشكندي ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي ، السعودية ، (د ط)، 2005.

10- الترغي عبد الله المرابط، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، تيطوان، ط1، 1999.

11- التفتازاني أبو الوفا، مدخل إلى التصوف الاسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1979.

12- الجحمة نواف عبد العزيز ، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي (6هـ-8هـ/12م-14م)، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات، ط1، 2008.

13- جلبي أوليا، الرحلة الحجازية، تر: الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999.

14- حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ،ج2،منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، (د.ط)، 1978.

15- حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة الجديدة، الرباط

16- حميدة عبد الرحمن، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1984.

17- رحلان أحمد، أمراء بلد الحرام من أولهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الشريف الحسين بن علي، الدار المتحدة للنشر ، لبنان، (د ط)، (د ت).

18- الزركلي خير الدين،الأعلام قاموس جغرافي لأشهر الرجال والنساء من العرب المتعربين المستشرقين، ج1، ج4، ج7، دار العلم للملايين، لبنان، ط5، 2002.

19- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1998.

20- سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية سلفية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1986.

21- شارف رقية، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، (دراسة تحليلية نقدية)، دار الملكية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2005.

22- الشامي صلاح الدين، رحلة عين الجغرافيا المبصرة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط2، 1999.

23- الشاهدي الحسن، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج1، منشورات عكاظ، الرباط، (دط)، 1990.

24- الصعيدي عبد الحكم عبد اللطيف ، الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 1996.

25- ضيف شوقي ، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1987.

26- عبد الغني عارف أحمد، تاريخ أمراء المدينة المنورة (1هـ-1417هـ)، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، (دط)، (دت).

27- عزي عبد الرحمن، التواصل القيمي في الرحلة الورتيلانية المرسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر،(دط) ، 2011.

28- عميراوي حميدة ، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، 2005.

29- فهيم حسين محمد ، أدب الرحلات (الرحلة في التراث العربي والاسلامي)، عالم المعرفة، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط) 1978.

30- فياض عبد الله ، الاجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الارشاد، العراق، ط1، 1997.

31- الفيلالي مختار بن طاهر، رحلة الورتيلاني عرض ودراسة، دار الشهاب للطباعة و النشر ، الجزائر ، (دط) ، 1978.

32- القاسمي عبد المنعم، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005.

33- قنديل فؤاد ، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002.

34- كنون عبد الله ، النبوغ المغربي في الأدب العربي،ج1،المغرب، ط2، (دت).

35- لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1515-1830)، دار سنجاق الدين للكتاب، (دط)، 2009.

36- ماكامان محمد، الرحلات المغربية في القرنين(11-12هـ /17-18م) ، مطبعة الأمنية ، المغرب ، ط1، 2014.

37- مخلوف محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1،دار الكتب العلمية، لبنان،ط1، 2003.

38- المغيلي الصديق حاج أحمد آل ، التاريخ الثقافي لاقليم توات من القرن 11هـ إلى 14هـ منشورات الجسر، الجزائر، ط2، 2011.

39- المنبع الجوهرة بنت عبد الرحمن ، الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية في فترة (1920م-1953م)، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (دط)، 2010.

40- المنوني محمد ، من حديث الركب المغربي ، مطبعة المخزن ، المغرب ، (د ط)، 1953.

41- الموافي ناصر عبد الرزاق ، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، ط1، 1995.

42- نصار حسين ، أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1991

43- نواب عواطف محمد يوسف ، الرحلات المغربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع و الثامن الهجريين (دراسة تحليلية مقارنة)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،(دط)، 1996.

44- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر ، لبنان، ط2، 1980.

45- هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2008.

46- وهبة مجدي والمهندس كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984.

ثالثا:المجلات:

أ- باللغة العربية:

1- أنساعد سميرة ، صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني، مجلة التراث العربي، تصدر عن إتحاد الكتاب العربي، دمشق، ع: 97، 2005.

2- بوباية عبد القادر ، اسهام محمد ابن أبي شنب في تحقيق التراث التاريخي العربي، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، ع: 9، 2014.

3- زمامة عبد القادر ، مع أبو سالم العياشي في رحلته إلى المشرق، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، المغرب، ع: 27 ،1983.

ب- باللغة الفرنسية:

1- Hadj sadok . adravers la berbérie orientale du XVIIIe siécle , avec le voyageur , al_warthilani ,R.A ,société historique algerienne , 1951.

2- mercier arnest, « constantine au 17 siècle, élévation de la famille el frgoun » extrait du recueil des notice et mémoire de la société archéologique de constantine.v XIX,année :1878,cosntantine : typographie L.Arnolet AD.Braham, 1879.

رابعا: الرسائل الجامعية:

1-لزغم فوزية ، البيوتات و الأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني و دورها الثقافي و السياسي (1520-1830م)، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، (2013-2014م).

2-المجاجي عبد الرحمان ، رحلة المجاجي (دراسة و تحقيق)، تح: سعاد آل سيدي الشيخ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بكلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، (2007-2008 م).

خامسا: الملتقيات:

1-حوتية محمد ، توات الموقع الجغرافي والأهمية التاريخية، ضمن الملتقى الوطني الأول: العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الاسلامي، الجامعة الافريقية العقيد أحمد دراية – أدرار – بالإشتراك مع جامعة ابن خلدون تيارت أيام: 14-15أفريل 2009

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان.....
إهداء.....
قائمة المختصرات.....
مقدمة..... أ- ز
مدخل الرحلة وأغراضها..... 9

الفصل الأول: إمارة ركب الحج

المبحث الأول: ركب الحج المغربي و الجزائري..... 23
كيفية تنظيم ركب الحج..... 23
شروط تعيين أمير ركب الحج و مهامه..... 27
نماذج من البيوتان التي تولت إمارة ركب الحج..... 31
المبحث الثاني: متطلبات الحج و مشاكله..... 34
نقل الحجاج 34
المشاكل التي تواجه الحاج..... 38

الفصل الثاني : العياشي وكتابه ماء الموائد

المبحث الأول : الحياة أبي سالم العياشي..... 46
نسبه ومولده..... 46
تعليمه ومشايخه..... 48
تدريسه وتلامذته..... 51
آثاره ومؤلفاته..... 53
وفاته..... 56
المبحث الثاني : أحوال الدول العربية من خلال رحلة العياشي..... 57
الملامح الجغرافية والتاريخية..... 57
الأحوال السياسية..... 62
الأحوال الإقتصادية والإجتماعية..... 66

الأحوال الثقافية..... 72
المبحث الثالث : بلاد الحجاز من خلال رحلة العياشي..... 77
المعالم الجغرافية..... 77
الأحوال السياسية..... 80
الأحوال الإقتصادية والإجتماعية..... 81
الأحوال الثقافية..... 84
الفصل الثالث: الورتيلاني وكتابه نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار
المبحث الأول: حياة الحسين الورتيلاني..... 90
نسبه ومولده..... 90
تعلمه ومشايخه..... 92
تدريسه وتلاميذه..... 96
آثاره و مؤلفاته..... 97
وفاته..... 99
المبحث الثاني : أحوال الدول العربية من خلال الرحلة الورتيلانية..... 100
الملامح الجغرافية والتاريخية..... 100
الأحوال السياسية..... 104
الأحوال الإقتصادية و الإجتماعية..... 105
الأحوال الثقافية..... 110
المبحث الثالث : بلاد الحجاز من خلال رحلة الورتيلاني..... 117
الملامح الجغرافية..... 117
الأحوال السياسية..... 118
الأحوال الإقتصادية و الإجتماعية..... 119
الأحوال الثقافية..... 121
الخاتمة..... 124
الملاحق..... 127
قائمة البيبليوغرافيا..... 132

فهرس الموضوعات..... 142